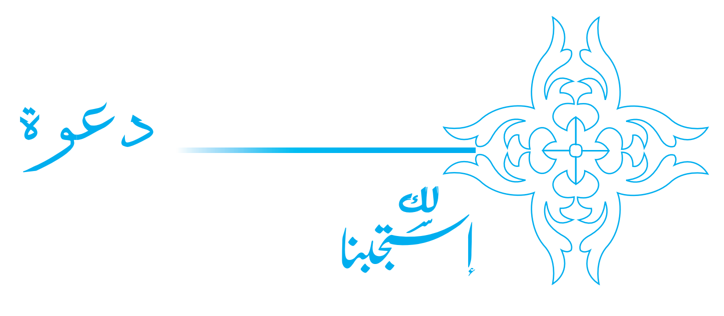


دعوة للقلوب الصادقة, والنفوس المؤمنة الطموحة ..

دعوة للارتقاء في منازل الاستجابة للّه ورسوله ﷺ, استجابة بعد استجابة..

دعوة للحياة بطعمها الحقيقي, حياة الرضا والأنس والاطمئنان والسعادة ..

إنها دعوة للاستجابة لأمر ربنا الودود الرحيم:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (١).

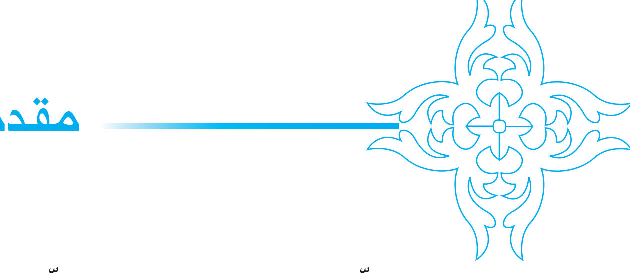
لبيك ربنا .. لك استجبنا ..

﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (٢).

١- آل عمران: ١٣٣.

٢- البقرة: ٢٨٥.


إستجبنا لك



مقدمة

الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه وسلم على نبينا وسيدنا محمد ابن عبد اللّه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إن اللّه خلق الخلق، ولم يتركهم سدى, بل خلقهم لغاية عظيمة، قال تعالى : ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾ .

قال مجاهد : دون أن يُؤمر أو يُنهى .[1]

فمن تمام رحمته أن دلنا إلى الطريق الموصل إليه, فأمرنا ونهانا ودعانا للاستجابة والمسارعة في مرضاته .

وهذا الكتاب دعوة إلى تحقيق الاستجابة المطلقة لأمر اللّه تعالى ورسوله ﷺ ، لأننا عباد اللّه تعالى خاضعون له, منقادون لأمره, ومأمورون بأن نقيم له الدين كما شرع لنا في كتابه وسنة نبيه ﷺ , بلا تقصيرٍ ولا تعدٍ ولا ترددٍ ولا حرجٍ.

١-تفسير ابن كثير مجلد ٨ ص ٢٨٣.

والمطلوب منا جميعاً أن نحقق الاستجابة المطلقة للّه تعالى بقلوبنا ومقاصدنا وأقوالنا وأفعالنا وفي عباداتنا وأخلاقنا ومعاملاتنا وفي سرنا وعلانيتنا, كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

تلك هي الاستجابة المطلقة التي يأمرنا اللّه جل وعلا بها, ولا نعني بهذه الدعوة مطلق الاستجابة.

إذان كل مسلم مستجيب, ولكن تتفاوت تلك الاستجابة بين الكمال والتقصير، وبين الالتزام والتفريط, والناس في ذلك طبقات ومنازل لا يعلمها إلا اللّه :

فمنهم الذين استجابوا ظاهرا وباطنا في عباداتهم لربهم ومعاملتهم للناس, فهؤلاء المستجيبون للّه حقاً الذين حققوا الاستجابة المطلقة.

ومنهم من استجاب ظاهرا ولم يستجب باطناً، وهم المنافقون الذين جاء القرآن يصف استجابتهم المزيفة في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[2]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[3].

١- الأنعام: ١٦٢.
٢- المائدة: ٤١.
٣- آل عمران: ١٦٧.

وقــال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[1].

ومنهم المســلم المقصر فــي الواجبات والواقع في المحرمــات, كمن يصلي ولكنه يتعامــل بالربا, أو كمن يتصــدق ولكنه يخون ويكــذب, وكالمــرأة التي تصوم وتصلــى، ولكن تتبرج وتقصر في ســترها ونحو ذلك، فهؤلاء مستجيبون في جانب ومخالفون في جانب آخر، ﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾[2] .

فاســتجابتهم قاصرة ينالهم من وعد اللّه بحسب ما أتــوا من الاســتجابة، ويتوجه إليهم وعيــد المقصرين والمخالفين بحســب ما لديهم من التقصير والمخالفة, وهؤلاء مدعون للاســتجابة للّه تعالى في الأمر بالتوبة والإنابة إليه والاستقامة على أمره، كما قال اللّه تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾[3] .

وقولــه: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4].

١- الأنفال: ٢١.
٢- التوبة: ١٠٢.
٣- فصلت: ٦.
٤- النور: ٣١.

فما أعظم هذا الإنسان، وما أكرمه على اللّه تعالى، إن هوأخذ كتاب ربه ، واتبع منهجه، في هذه الحياة ، فأدرك غاية وجوده، وعمل وفق هذه الغاية في مقاصده وأقواله وأفعاله وجميع أحواله، عندئذ تتحقق له الحياة الحقيقية الطيبة الكريمة، فالذين يستجيبون للّه ورسوله ﷺ ظاهراً وباطناً في سرهم وعلانيتهم هم الأحياء، وإن ماتوا، هم الأعزة، وإن قل الأهل والعشيرة، وغيرهم هم الأموات وإن كانوا أحياء الأبدان، يسعون بين الناس ويجوبون الأسواق، ويأكلون الطعام، وحال أولئك كمن قال اللّه عز وجل عنهم:
﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [(١)]

وفي هذه الرسالة حديث عن الاستجابة للّه تعالى ورسوله ﷺ ، وثمار ذلك وعوائقه وثمَّة وقفات مع نماذج فهمت معنى الاستجابة وامتثلتها في واقع حياتها, ثم اختتمت بالطرق التي تبعث في النفس دواعي الاستجابة.

ويبقى لي كلمة امتنان وشكر للأخوة والأخوات الذين شاركوني في إعداد هذا الكتاب، وقد ضربوا

١- النحل: ٢١.

أنموذجـا كريمـا من نمـاذج الاسـتجابة للّه تعالى في أمـره جل وعز: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[١] وهم الأخوة فـي لجنة البحث العلمي في مؤسسـة آسـية برئاسـة الأستاذ الفاضل: جابر الصائغ رئيس تحرير موقع آسية الإلكتروني، والأخوات الفاضلات:

الدكتورة هياء الجريبة, والأستاذات مضاوي السيف, منيـرة المفـرج, فوزية الشـدي, ماجدة الحميـد, غادة الزامل, ثريا السـيف, والابنتان الموفقتـان رنا اليحيى وروان الشـايع, أسأل اللّه المولى جل وعلى أن يحشرنا جميعـا فـي زمـرة المسـتجيبين السـابقين، واللّه المسؤول أن ينفع بهذا الكتاب كلَّ من قرأه، وأن يوفق مجمـوع الأمـة لسـلوك طريـق الاسـتجابة للّه تعالى ولرسوله صلى اللّه عليه وسلم .

د.أسماء بنت راشد الرويشد
المشرفة العامة على مؤسسة آسية
للتدريب والاستشارات
١٤٣٢/٨/١٥هـ
asma@asyeh.com

١- المائدة: ٢



أهمية الاستجابة لله ولرسوله ﷺ



نداء رباني

قال اللّه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[١] إنها دعوة اللّه تعالى يوجهها لعباده المؤمنين، ويخاطبهم بصفة الإيمان، ويذكرهم بمقتضى ما آمنوا به؛ ليكون ذلك حاملاً لهم على المبادرة إلى إجابة الدعوة بعناية وقوة وعزيمة كما في قوله تعالى : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

هذا النداء الذي يوجهه اللّه تعالى إلى المؤمنين، دعوة إلى الحياة بكل صورها ومعانيها ، ولكنها ليست أيّ حياة، إنما هي الحياة الكاملة التي يتميز بها المسلم عن سائر البشر الذين تحركهم دوافع الشهوات، وتتحكم فيهم الأهواء، فحسب الواحد منهم مالٌ يرفع

١- الأنفال: ٢٤.

٢- البقرة: ٦٣.

حسابه، وطعامٌ يملأ بطنه، وثياب فاخرة تكسوجسده، وسـيارة فارهة يجذب أنظار النـاس إليها، ومنزل فخم يباهي به جلساءه فهو لا يسعى لأكثر من ذلك.

وعلـى قدر الاسـتجابة يكـون كمـال الحيـاة، فهي مراتـب، كلمـا زاد العبـد فـي الاسـتجابة للّه تعالـى وطاعــة أوامره، كلما زاده اللّه كمالاً في حياته، وهداية وتوفيقـاً، فلينظـر الإنسـان إلـى مدى اسـتجابته للّه ورسـوله ﷺ، فـي يومه وليلته، وعلى قـدر ذلك تكمل حياته ويطيب عيشه، لذلك شبه اللّه تعالى المستجيب لنـداء اللّه ورسـوله ﷺ بالحـي، والـذي لا يسـتجيب بالميـت، قال تعالـى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[1].

بعض الناس ولأسـباب مختلفة (ربما الجهل بالشرع أو وسوسـة الشـيطان، أو سـماع كلام أعـداء الديـن) يتوهم أنه عندما يتوب ويستقيم ويستجيب للّه تعالى سـيحرم طعـم الحيـاة ولذتها، وهـذا زيف وتشـويه، والواقع أن المسـتجيب يعيش كمـا يعيش غيره، يأكل ويشـرب وينام ويضحك ويفرح ويبيع ويشتري ، ولكنه

١- الأنعام: ٣٦.

تقي يخشى ربه بالغيب، لا يخون ولا يظلم ولا يكذب ولا يسرق ولا يزني، محافظ على صلاته، مؤدٍ لزكاته، قائمٌ بحق من له حقٌ عليه؛ لأنه يحيا حياة القلب والعقل معاً بالعقيدة التي تعمر قلبه فتملأ كيانه نوراً وهداية، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[1].

إنه يعيش بحياة الروح والجسد معاً، دون انفصام بينهما، ولا صراع، فما كان تعذيب الجسد في شريعة اللّه سبيلاً لرقي الروح وتزكيتها، وما كانت العناية بالروح عاملاً يدفع المؤمن إلى ترك وتحريم ما أحل اللّه للإنسان، ولا حرمانه من حق الحياة الطيبة والزينة التي أخرجها اللّه لعباده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3].

١- الأنعام: ١٢٢.
٢- الأعراف: ٣٢.
٣- القصص: ٧٧.

وهذا ما علمه النبي ﷺ لأصحابه، فكان درساً تعليميّاً لا ينسى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلــى بيــوت أزواج النبي ﷺ يســألون عن عبــادة النبي ﷺ ، فلمــا أخبــروا كأنهم تقالوهــا، فقالــوا : أين نحن مــن النبي ﷺ ، قد غفر له مــا تقدم من ذنبه وما تأخر.

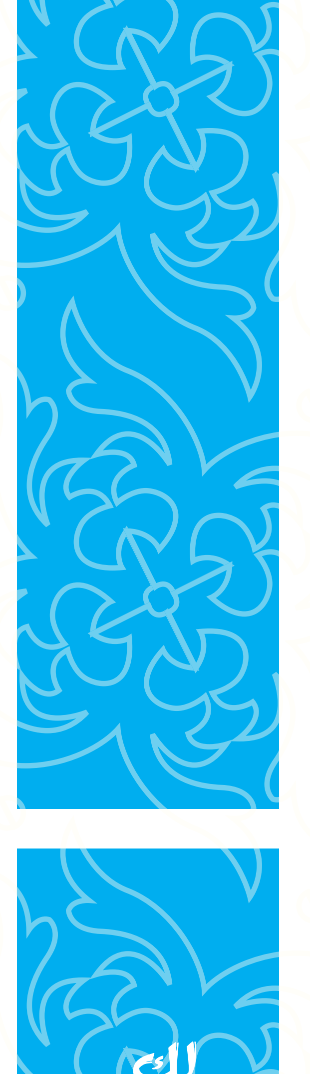
قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً.

وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

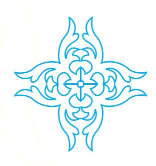
وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رســول اللّه ﷺ فقــال: «أنتم الذيــن قلتم كذا وكــذا؟ أما واللّه إني لأخشــاكم للّه وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

١- رواه البخاري برقم ٤٦٧٥ ومسلم برقم ١٤٠١ كلاهما عن انس بن مالك رضي الله عنه .







تعريف الاستجابة



تعريف الاستجابة



الاستجابة لغة:

الإجابة مصدر الفعل: أجاب، والاسم: الجابة، والإجابة رجع الكلام، نقول: أجابه عن سؤاله، ومنه: استجاب اللّه دعاءه[1].

وقد ثبت للّه صفة الاستجابة ومنها اشتق اسم المجيب[2].

الاستجابة اصطلاحاً:

إن المتدبر لكتاب اللّه تعالى يجد دعوة ظاهرة للاستجابة في مواضع عدة من آيات اللّه، تارة بالأمر بها, وتارة ببيان حقيقتها, وتارة ببيان مآل أهلها الذين

١- لسان العرب لابن منظور: ٢٨٣/١، مختار الصحاح للرازي: ١١٩/١، والمعجم الوسيط: ١٤٤/١ نفس المادة.

٢- سلسلة الأسماء والصفات لمحمد الحسن الددو شريط رقم (٦)، وانظر: أسماء اللّه الحسنى الثابتة في الكتاب للرضواني ١٣/٢٧ الاسم (٧٨) ، وانظر: شرح أسماء اللّه الحسنى لسعيد القحطاني ٦٢/١.

أقاموها حق القيام, وتارة ببيان عقوبة المعرضين عنها .

وقد ورد للاستجابة تعريفات عدة بعبارات متقاربة، وإليك أبرزها:

قال مجاهد رحمة اللّه

"الاستجابة الطاعة"[١].

وقال جمهور المفسرين:

«المعنى: استجيبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه. ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية»[٢].

وقيل:

هي الإجابة إلى ما دعاهم اللّه إليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الرسل عليهم، والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله ﷺ[٣].

وقيل: المعنى:

«أجيبوه إلى ما دعاكم من الإيمان به والطاعة»[٤].

١- تفسير الطبري ٣/٤٨٤

٢- فتح القدير للشوكاني ٢/٣٤٢ , البحر المحيط لمحمد بن حيان ٥/٣٠٢

٣- مفاتيح الغيب للرازي ١٩/٣١.

٤- تفسير الطبري ٣/٤٨٤.

وقيل الاستجابة:

«الإجابة إلى مادعا اللّه من التوحيد والعبادة»[1].

وقال السعدي رحمة اللّه :

"الاستجابة للّه وللرسول ﷺ أي الانقياد لما أمرا به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نُهينا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه"[2].

والإجابة تكون من اللّه، وتكون من العبد، فالإجابة من العبد للّه الطاعة، وإجابة اللّه لعبده إعطاؤه مطلوبه، ويزيده من فضله على ثوابه، لأن إجابة كل شي وفق ما يليق به [3].

وبهذا يتضح أن الاستجابة للّه وللرسول ﷺ قد تأتي بمعنى الإيمان والتقوى والانقياد والاستسلام والموافقة لأمر اللّه تعالى والمسارعة لمرضاته.

إذ هي ألفاظ مترابطة يتضمن بعضها البعض الآخر ويقتضيه[4].

١- تفسير الجلالين ص:٦٤٤.

٢- تفسير السعدي:ص٢٩٥.

٣- الكشاف للزمخشري ٢٢٣/٤، ومفاتيح الغيب للرازي ٢٦٦/٥.

٤- مفاتيح الغيب للرازي ٢٦٦/٥ نظم الدرر للبقاعي ٧٦/٣, تفسير

قال البقاعي رحمة اللّه :

أوجب استجابته سبحانه في كل مادعا إليه، وكانت الاستجابة بالإيمان أول المراتب وأولاها[1].

وقال السعدي رحمة اللّه :

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهوالاستجابة للّه وللرسول ﷺ[2].

وينبغي أن نعلم أن أصل الاستجابة تكون بالقلب.
فلا ينفع استجابة البدن دون استجابة القلب، فلوعمل المسلم ما عمل من أوامر الشرع دون استجابة قلبه لم ينفعه ذلك العمل .

قال ابن القيم رحمة اللّه :

"الاستجابة أصلها بالقلب، فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب؛ فإن اللّه سبحانه بين العبد وبين قلبه، فيعلم هل استجاب له قلبه ، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه"[3].

السعدي: ص ٢٩٥, أخلاق القرآن للشرباصي ١٥٩/٢ .
١ - نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٧٦.
٢- تفسير السعدي، ص ٢٩٥.
٣- تفسير القرآن الكريم لابن القيم ص٣٠١.

الاستجابة فيها معنى الإجابة من ناحية الإجابة والقبول، يقال دعاني فاستجبته واستجبت له، لكن الاستجابة فيها معنى الإجابة بعناية واستعداد .

قال ابن عاشور رحمة اللّه في قوله تعالى:

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾

«والسين والتاء في ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾ للمبالغة في الإجابة، أي هي إجابة لا يخالطها كراهية ولا تردد، ولام (لربهم) للتقوية، فالظاهر أنه أريد منه استجابة خاصة ، وهي إجابة المبادرة مثل أبي بكر وخديجة وعبد اللّه بن مسعود وسعد بن أبي وقاص ونقباء الأنصار أصحاب ليلة العقبة رضي اللّه عنهم "[1].

فكلمة ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾ أصلها أجابوا، فزيد فيها السين والتاء للمبالغة في الاستجابة؛ لكي تتضمن معاني القبول والانقياد والمسارعة والمبادرة .

فالاستجابة لأمر اللّه تعالى ورسوله ﷺ واجبة على كل مكلف، وعلى الفور بلا تردد، وبقدر الاستطاعة، بامتثال الأوامر الواجب فعلها وترك الأمور المنهي عن فعلها .

١- التحرير والتنوير ٢٥ / ١٧٠.

فليس للعبد خيارٌ هل يستجيب أو لا يستجيب، فإما استجابة وإما إعراض .

ولن يكون مؤمناً ذاك الذي يُعرض عن دعوة الله، ولا يستجيب لها، أو يجعلها دبر أذنيه.

فإن الاستجابة للّه وللرسول ﷺ هي المحكُّ الحقيقي والمظهر العملي للإيمان ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فالاستجابة للّه يجب أن تكون في كل الأحوال، وفي جميع الظروف على الدوام بقدر الاستطاعة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2].

وقوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3].

لأن الأصل في أمور الآخرة وما يقرب إلى اللّه تعالى، وما فيه أداء لحقوق الناس، هوالعجلة إليها.

كما قال ﷺ: (التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة)[4].

١- النور: ٥١.

٢- آل عمران: ١٣٣.

٣- الحديد: ٢١.

٤- رواه ابوداود برقم ٤٨١٢ والحاكم برقم ٢١٣ في كتاب الايمان ١٣٢/١ والبيهقي في السنن الكبرى برقم ٢١٣٢٤ كلهم عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم : ٣٠٠٩.

وقد جعل اللّه تعالي رضاه في المسارعة بالاستجابة لأمره.

كما جاء في قوله تعالى عن موسى ﷺ :

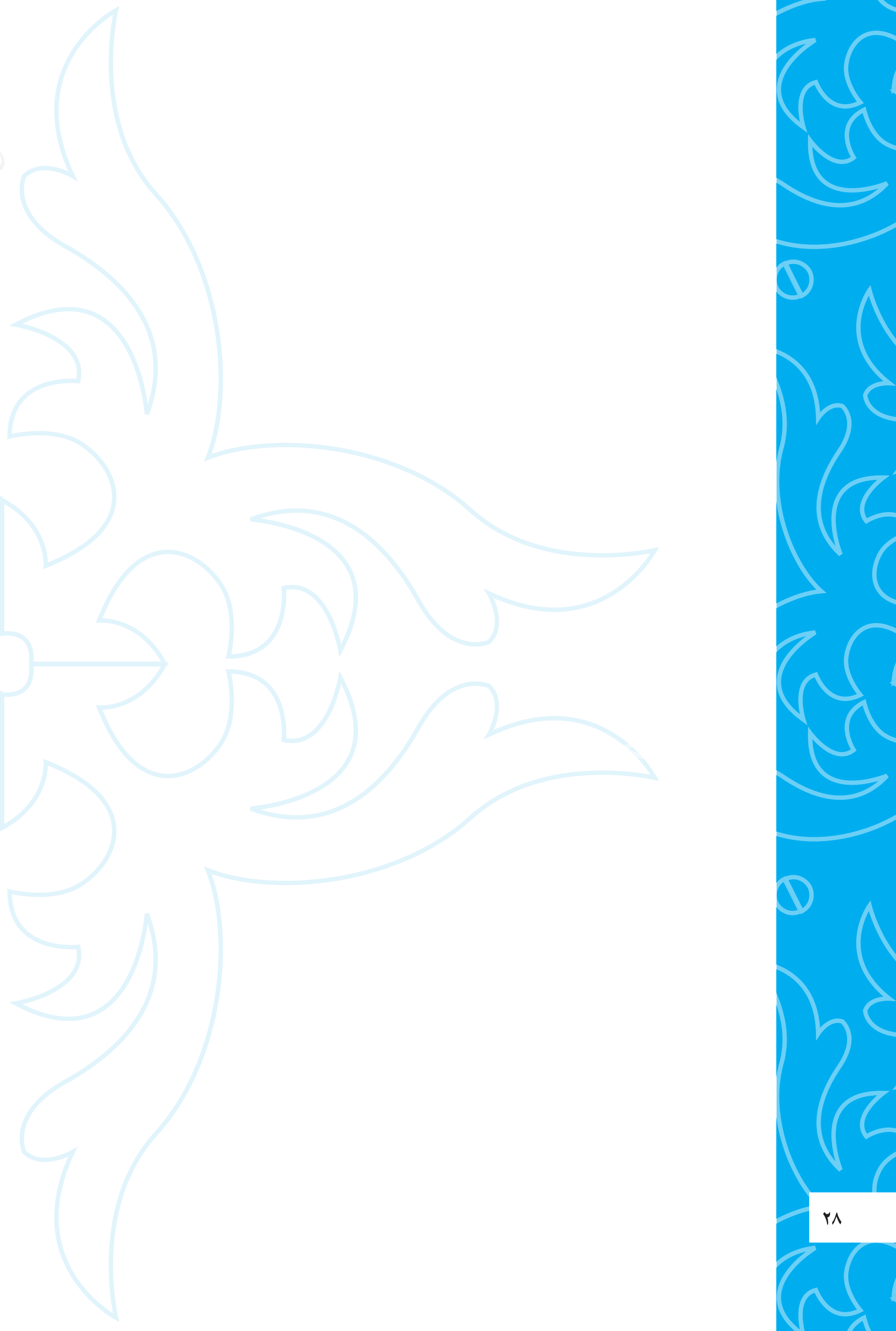
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[١]

وذلك أن موسى ﷺ رأى على جهة الاجتهاد أن يتقدم وحده مبادراً لأمر اللّها طلباً لرضائه، وحرصاً على القرب منه، وشوقاً إلى مناجاته[٢].

ومن ذلك المبادرة بالتوبة استجابة لأمر اللّه تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]. فالتوبة واجبة على الفور.

قال ابن القيم رحمة اللّه : "إن اللّه ا يحب المبادرة أو المسارعة إلى خدمته والتنافس فيها فإن ذلك أبلغ في العبودية، والملوك تحب المسارعة والمنافسة في طاعتها وخدمتها ... وكان الصحابة رضوان اللّه عليهم يسابق بعضهم بعضا بالقرب، ولا يؤْثرُ الرجل منهم غيره»[٤].

١- طه: ٨٤.
٢- تفسير الثعلبي ٣/ ٣٦.
٣- النور: ٣١.
٤- الروح ص ١٣٠.



مرادفات للاستجابة

هنـاك «ألفـاظ» تـرادف فـي معناهـا مفهـوم «الاسـتجابة» مع اختلاف يسير في التركيز على دلالات أخرى، ومنها:

■ الاستقامة :

هي سـلوك الصراط المسـتقيم ، وهو الدين القيم مـن غير ميل عنه يمنة ولا يسـرة، ويشـمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، الظاهرة والباطنة[١]

فلا يثبت للعبد وصف الاستقامة ما لم يكن مستجيباً للّه تعالـى فـي ظاهـره وباطنه وسـره وعلانيته وفي تعبده وتخلقه .

■ التقوى :

قال الإمام يحيى بن شرف الدين النووي:

"التقوى : كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات»[٢]

١- جامع العلوم والحكم ، شرح الحديث الحادي والعشرون ، ص: ٢٣٣

٢- شرح ابن عثيمين للأربعين النووية، ص:٤٨

■ المسارعة والمبادرة والمسابقة :

المسارعة تكون بإدراك الشيء قبل فواته، أو بدفعه قبل وقوعه [1].

■ الاستسلام :

أصل الاستسلام هو الإسلام الظاهر، فالإسلام هو الاستسلام للّه والانقياد له ظاهرا وباطنا.[2]

١- تحفة الأحوذي ٦/ ٤٣٨، ٥٩٢.

٢- مجموعة فتاوى ابن تيمية، المجلد السابع



لماذا الحديث عن الاستجابة ؟



لماذا الحديث عن الاستجابة

الحديث عن الاستجابة ضرورة فكل ما حولنا من الحقائق والأحداث يلجئنا إلى الحديث عن الاستجابة - قضايا وأزمات ظواهر ومشكلات - ولا نجد علاجاً لها إلا ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم ﴾[1].

إذاً نحن بحاجة إلى هذه الدعوة «الدعوة إلى الاستجابة» كيما نتدارك الوقت، ونستزيد من الخير لنفوز وننجو.

ندعو للاستجابة السريعة بعزم وبلا تردد، ونؤكد على ذلك عبر النقاط التالية التي تبرز سبب الحديث عن الاستجابة:

١- إن كنت مؤمناً فاستجب :

إن المؤمن المقر بربوبية اللّه تعالى، والذي أحصى أسماء ربه فعلمها ووعاها بقلبه يعلم أن له ربا خالقا

١- الشورى: ٤٧.

مالـكاً رازقاً مدبراً، يفعل به ما يشـاء ويحكم فيه بما يريد، كما في دعاء الهم والكرب:

«مـاض فينـا حكمك عـدل فينـا قضـاؤك»[1] وهذا اليقين يسـتلزم من العبد أن يكون مخلصاً لربه منقاداً لطاعته في سـره وعلانيتـه، وفيما يحـب ويكره وفي الرغبة والرهبة، وكلما استغرق العبد في معاني أسماء اللّه وصفاتـه، وانغمس قلبه في لجتها، فإنه سـيجري فـي مرضاة ربه جريان ميـاه الأنهار المنصبة من علو، كيـف لا وهو حيثما سـعى ودرج فهو علـى أرضه وفي ملكه .. وأينما توجه وتقلب فهوتحت سـمائه وقهره ..

وما من طعام يطعمه، ولا شـرابٍ يشـربه، ولا كساءٍ يلبسه، أو مأوىً يسكنه، إلا وهو يعلم أنه من رزق اللّه ونعمته .

فالحديـث عـن الاسـتجابة هوحديـث عـن الايمـان والتقوى, حديث عن الاستسـلام والانقياد لمن لا نملك إلا أن نطيعه بلا مناقشة، ولا تردد, ولا نقدم قولاً على قوله ولا رأياً على حكمه ، وهنا مثال:

١- رواه أحمد برقم (٣٧١٢)، ص (٢٤٧)، وابن حبان برقم (٩٧٢).

إذا كان هناك إنسـان مريض، واجتهد في البحث عن طبيب يجمع بين العلم والخبرة والأمانة، سـأل وسـأل وبحـث وتحقق إلى أن اسـتقرّ على طبيـب يجمع بين تلك الصفات، فذهب إليه فوصف له علاجاً .

هل سيناقش المريض الطبيب في تلك الوصفة؟

الجواب: لا؛ لأن عقل هذا المريض قاده لهذا الطبيب واهتدى إليه بعد أن بحث وسأل ودله الناس عليه .

فأنت أيها الإنسـان الكون كله هداك إلى اللّه ، أفعال اللّه هدتـك إليه، خلق اللّه دلك عليـه، فإذا وصلت إليه وقـرأت كتابه فإنـك لا يليق بك أن تناقـش أوامره فلا تسـمح لنفسك أن تتردد أو تتراجع ، وكن كما قال اللّه تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1].

٢- هلم إلى الاستجابة وبادر :

تتأكـد الدعـوة إلى الاسـتجابة للّه ولرسـوله ﷺ في زمن تراخت فيه العزائم، وانحدرت فيه الهمم، وتثاقل المتثاقلون عن فعل الطاعات، وظهرت مظاهر العصيان

١- الأحزاب: ٣٦.

العلنـي والمسـتتر، وغلب علـى الناس حب الشـهوات العاجلة، وآثروها على ما أعد اللّه لهم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [1] .

وقال : ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ [2].

فآن أوان التنادي بالرجوع إلى اللّه تعالى، والاستجابة لأمـره، والتـداعـي علـى طريــق الاسـتقـامة، خــلاصـاً للنفس، ونصحاً وبلاغاً للناس، وإعذاراً أمــام رب العــالمين: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [3].

٣- الاستجابة هي طريق السعادة :

كل الأنظمـة الوضعية لـم تحقق وعودها بإسـعاد الإنسـان، إذ لا يمكن أن يسعد الإنسان إلا بمعرفة ربه والقيام بدينه، والعالم البشـري اليوم يئن من ظواهر اجتماعية متردية، ومشـكلات نفسـية متنوعة، بسبب بعده عن منهج اللّه، ومخالفته أمره، وأصبحنا في أمس الحاجـة للحديث عن الاسـتجابة والتداعــي إليها؛ لأننا

١- الأعلى: ١٦.

٢- القيامة: ٢٠.

٣- الأعراف: ١٦٤.

محتاجون إلى السعادة والاستقرار والأمن والود والسكينة مع أنفسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا القريب والبعيد.

قال اللّه تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[1].

إنها الحياة الطيبة التي دعانا إليها اللّه عز وجل في ظل الاستجابة للّه ورسوله ﷺ حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[2]

إذ أن الاستجابة للّه ورسوله هي استجابة لدواعي الحياة بكل معاني الحياة الكاملة, حياة تلبي حاجات الإنسان العليا التي ترتقي به، وتسمو وتؤكد إنسانيته، وتفضي به إلى حياة دائمة في جنة عرضها السماوات والأرض.

١- النحل: ٩٧.

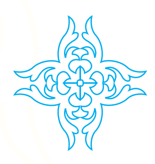
٢- الأنفال: ٢٤.







ثمرات الاستجابة





ثمرات الاستجابة

العبد المستجيب لربه في خيرات وبركات ممتدة في الدنيا والآخرة ما دام على طاعته منيبا إليه مستجيبا لأمره, إنه جزاء الإحسان بالإحسان, والاستجابة بالإجابة والمسارعة بالمغفرة والجنة.

إليك أخي القارئ هذه الثمرات فاجتنيها واستكثر:

١- الحياة الطيبة :

من أعظم الثمرات التي يجنيها المستجيب للّه ورسوله ﷺ أن يحيا الحياة الطيبة، وهذا معنى ظاهر في كثير من الآيات، ومنها ما ذكره الباري عز وجل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

١ - الأنفال: ٢٤.

قال الإمام ابن القيم رحمة اللّه معلقًا على هذه الآية:

"إن الحيـاة النافعـة إنمـا تحصـل بالاسـتجابة للّه ورسـوله ﷺ ، فمن لـم تحصل له هذه الاسـتجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشـتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب للّه والرسـول ﷺ ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان.

ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جـزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسـب ما استجاب للرسول ﷺ "[١] .

ثـم يضـرب ابن القيم مثـالاً يصور فيه أثـر القرآن والاسـتجابة لأوامـر القـرآن ونواهيه في حيـاة القلب فيقول رحمه اللّه :

"كمـا أن الإنسـان لا حيـاة له حتى ينفـخ فيه الملك الذي هورسول اللّه من روحه، فيصير حيًا بذلك النفخ، وكان قبل ذلك من جملة الأموات، فكذلك لا حياة لروحه

١- الفوائد لابن القيم ص ٨٨.

وقلبه حتى ينفخ فيه الرســول عليه السلام من الروح الذي ألقي إليه"[1].

ثم يوضح رحمه الله توضيحًا ثانيًا في وصف حال المستجيبين في الدارين فيقول:

"فــإن المؤمنين حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب، قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[2]، فهذا في الدنيا.

ثــم قــال: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3]، فهذا في البرزخ.

وقــال تعالــى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

وقال تعالــى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[5]، فهـذا في الآخرة أيضاً.

١- الفوائد لابن القيم ص ٩٠

٢- النحل: ٩٧.

٣- النحل: ٩٧.

٤- النحل: ٤١.

٥- هود: ٣.

وقال تعالــى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

فهــذه أربعة مواضــع، ذكر افيها أنه يجزي المحســن بإحسانه جزاءين:

- جزاء في الدنيا .
- وجزاء في الآخرة .

" فالإحســان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجــل ولابــد، ولولم يكــن إلا ما يجازى به المحســن، من انشــراح صدره في انفســاح قلبه، وسروره ولذاته بمعاملــة ربه عــز وجل وطاعته وذكــره، ونعيم روحه بمحبته لكفى "[2].

وعلى ســبيل المثال ما يجده واصل الرحم من ثمرة معجلــة في الدنيا قبل الآخرة، فمن وصل رحمه، وبادر بأنــواع الصلة مــن الزيارة والإعانة والدعــاء ونحوذلك وقدم أنواع المعروف والإحســان لأقاربه احتساباً وطلباً لمرضــاة اللّه عز وجل فإنه موعود بالجزاء العاجل في أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره.

١- الزمر: ١٠.

٢- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص ٦٧ .

وإذا خالـف أمـر ربـه، ولم يصـل ما أمـر اللّه به أن يوصل، وأبدلها بالقطيعة، فإنه يخشى عليه من اللعنة، وأن تصيبـه من العقوبات القلبيـة ما يجعله مطموس البصيـرة، فلا ينتفع بموعظة، ولا يعتبر بحدث، عقوبة معجلـة له في الدنيا, قـال اللّه تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[١].

فلا بد أن يتحول هذا الأمر إلى قناعات راسخة في أن اللّه يجـازي المطيعين والمبادرين إلى مرضاته بالحياة الطيبة الرضية في الدنيا، ولوعرض لهم الخوف والفقر والمرض وغيرها من المنغصات إلا أن اللّه ينزل عليهم من سـكينة القلب وطمأنينة النفس ما يبدد همومهم وآلامهم، ويجعل لهم مخرجًا من حيث لا يحتسبون بسبب استجابتهم.

قـال تعالـى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[٢].

١- محمد: ٢٢-٢٤.

٢- النحل: ٩٧.

فهذا وعد من كريم صادق بالحياة الطيبة لمن حقق الإيمان والعمل الصالح واللّه لا يخلف الميعاد.

ويقول اللّه تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1]، أي لواعتدلوا وساروا على الطريقة المثلى لأسقيناهم الغيث الكثير، وهذا السقي كناية عن الإنعام عليهم.

٢ . الفوز بالجنة والنجاة من النار :

وعد الباري جل جلاله المبادرين لطاعته المسارعين لمرضاته بأعظم العطايا وأجلها، بأن يدخلهم جنات النعيم، قال جل جلاله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[2].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمة اللّه في تفسيره: "لما بين تعالى الحق من الباطل، ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾، أي: انقادت

١- الجن: ١٦.

٢- الرعد: ١٨.

قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن، فلهم من الصفات أجلها، ومن المناقب أفضلها، ومن الثواب العاجل والآجل، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[١].

وقد وصف اللّه عز وجل شيئاً من ذلك النعيم في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[٢]

والقرآن مليء بأنواع العطايا والهبات الربانية التي يمن اللّه بها على عباده الصالحين في الجنة من ذكر قصور الجنة وغرفها وأنهارها وأشجارها وألوان من الطعام والشراب واللباس والحلي وغيرها من ألوان النعيم.

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٤١٦

٢- الحجر: ٤٥-٥٠.

والنعيـم هنا يشـمل نعيم البدن ونعيـم القلب، أما نعيـم البدن فإن اللّه عز وجل قال في الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[1].

قال تعالـى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

وأما نعيم القلب فإنهم يقال لهم وقد شاهدوا الموت قد ذبح: يا أهل الجنة خلود ولا موت[3]، ويقال لهم: ادخلوها بسلام؛ لقوله تعالـى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[4]، ويقال لهم: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبـدًا، وأن تصحـوا فـلا تمرضوا أبدًا، وأن تشـبوا فلا تهرمـوا أبـدًا[5]، وكل هـذا ممـا يدخل السـرور على القلـب فيحصل لهم بذلك نعيم القلـب، ونعيم البدن، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[6].

١-الزخرف: ٧١.

٢- السجدة: ١٧.

٣ - رواه البخاري برقم ٤٣٦١ ومسلم برقم ٢٨٤٩ كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٤ - الحجر: ٤٦.

٥- رواه مسلم برقم ٢٨٣٦ عن أبي رضي الله عنه.

٦- السجدة ١٧

يقولــون: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[1]، جعلنا اللّه منهم بمنه وفضله.

هكــذا .. ينال المســتجيب الجــزاء العظيــم والنعيم المقيم في الآخرة .

٣ـ إجابة الدعاء :

إن مــن اســتجاب للّه اســتجاب اللّه له، قــال تعالى : ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾[2]، ومــن وفَّــى للّه عهده وفَّى اللّه له قال تعالى : ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[3]، ومن ذكر اللّه ذكره اللّه، قال تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[4]، فمن اســتجاب للّه أجاب اللّه دعاءه، قال اللّه تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[5]، وكانت الآية جواب ســؤال، حيث ســأل النبيَ ﷺ بعضُ أصحابــه فقالــوا : يا رســول اللّه أقريب ربنــا فنناجيه؟

١- الرعد: ٢٣.

٢- الرعد: ٢٤.

٣- آل عمران: ١٩٥.

٤- البقرة: ٤٠.

٥- البقرة: ١٥٢.

أم بعيد فنناديه؟

فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[1]

لأنه تعالى الرقيب الشهيد المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب من داعيه بالإجاب، ولهذا قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2][3].

فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء؛ كأكل الحرام ونحوه، فإن اللّه قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة للّه تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب لهذه الاستجابة؛ فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وأخبر تعالى عن الأنبياء عليهم السلام بقوله:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ

١- البقرة: ١٨٦.

٢- البقرة: ١٨٦.

٣- تفسير السعدي ص ٨٧ .

﴿فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1].

ومعنى المسارعة هنا -كما ذكر المفسرون- أنهم كانوا يبادرون إلى الخيرات طاعة لله، ويعملون ما يقربهم إلى الله، والمسارعة في طاعة الله من أكبر ما يمدح به المرء؛ لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة، ولذلك أكرم الله عز وجل هؤلاء المسارعين في الخيرات، فاستجاب لهم، وحقق ما أرادوه ورغبوا فيه، ووهب لزكريا عليه السلام الولد بعد طول سنين، وأصلح له أمر زوجته.

وهذا فضل عميم من صاحب الفضل العظيم، يذكر كل مؤمن بأنه إذا أخلص في المسارعة إلى الخير لوجه الله أوسع له العطاء والجزاء.

٤ .الاستجابة طريق العلم ومعرفة الحق وكمال العقل :

لعموم قوله تعالى : ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[2]، فيحصل لهم الرشد الذي

١- الأنبياء: ٨٩-٩٠.

٢- البقرة: ١٨٦.

هوالهدايــة للإيمان والأعمال الصالحــة، ويزول عنهم الغــي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة؛ ولأن الإيمان باللّه والاســتجابة لأمره ســبب في حصــول العلم، كما قــال اللّه تعالــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾[1] "[2].

فمن اتقى اللّه عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه، وفق لمعرفــة الحق من الباطل، والهــدى من الضلال، فــكان ذلك ســبب نصرتــه ونجاته ومخرجــه من أمور الدنيا، وســعادته يوم القيامة، ومن أراد اللّه أن يوفقه إلى إصابة الحق وييسر له سبل العلم، فليتّق ربه في ســره وعلانيته و ليكن مخلصًا متّبعًــا ليفتح له فتوح الفهم والعلم.

٥ . الكفاية وإصلاح الشأن :

ههنا نورد مثالاً، ونردفه بآخر لبيان فضل الاستجابة في جلبها الكفاية وإصلاح الشأن:

١- الأنفال: ٢٩.

٢- تفسير السعدي ص ٨٧.

المثال الأول :

ولما أنزلت على النبي ﷺ : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[1].

فَاشتدَّ ذَلكَ علَى أَصحابِ رَسولِ اللَّه – كما أخبر بذلك أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَتَوْا رَسولَ اللَّه ﷺ ، ثُمَّ برَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا : أىْ رَسولَ اللَّهِ، كُلِّفْنا منَ الأَعمالِ ما نطِيقُ، الصلاَةُ وَالصيامُ وَالْجِهادُ وَالصدَقَة، وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيكَ هذه الآيةُ وَلاَ نطيقُها.

قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ : «أَتريدُونَ أَنْ تقُولُوا كَما قَالَ أَهلُ الْكتابينِ منْ قَبلكُمْ سمعنا وَعَصينا، بلْ قُولُوا سمعنا وَأَطَعنا غُفْرَانكَ رَبنا وَإِلَيكَ الْمَصيرُ».

قَالُوا: سمعنا وَأَطَعنا غُفْرَانكَ رَبنا وَإِلَيكَ الْمصيرُ.

فَلَما اقْترَأَها الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِها أَلْسِنتهمْ، فَأَنزَلَ اللَّهُ فى إِثْرِها : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

١- البقرة: ٢٨٤.

وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1].

فَلَمافَعلُواذَلكَ،نسخهااللَّهُتعالَىفَأَنزَلَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾[2]، قَالَ: نعمْ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾[3]، قَالَ: نعمْ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾[4]، قَالَ: نَعَمْ.

﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[5]، قَالَ: نعمْ.

وفي رواية: قال: "قد فعلت"[6].

ولـذا قال النبي ﷺ مبيناً فضل اللّه عز وجل **ومنَّته** على هؤلاء القوم بعدما اسـتجابوا لكلام رسولهم ﷺ

١- البقرة: ٢٨٥.

٢- البقرة: ٢٨٦.

٣- البقرة: ٢٨٦.

٤- البقرة: ٢٨٦.

٥- البقرة: ٢٨٦.

٦- رواه مسلم، برقم ١٢٥ عن أبي هريرة z.

: «إِنَّ اللَّــهَ تجاوَزَ لأمتي ما حدَّثَتْ بِهِ أَنفُســها، ما لَمْ يَتَكَلَّموا أَويعْملُوا بِهِ»[1].

فهـؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم اعتقدوا في بداية الأمر أنهم يؤاخـذون بمـا لا قـدرة لهم علـى دفعه مـن الخواطر التي لا تكتسـب، فلما أتوا النبي ﷺ يشكون ضعفهم وعجزهـم -وليس اعتراضاً علـى كلام ربهم عز وجل بيـن لهم النبي ﷺ أن هذا المسـلك يشـبه مسـلك اليهود والنصارى، حيث قالوا: سمعنا وعصينا، فالمؤمن ينبغـي عليـه أن يقول لأوامر ربـه وأحكامه: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

فلمـا فعلوا مـا أمرهم بـه النبـي ﷺ ، وألقى اللّه الإيمـان في قلوبهـم، وذلت هذه القلوب بالاستسـلام والانقيـاد، وكذا ألسـنتهم، كفاهـم اللّه تعالى، ورفع الحرج عنهم، ونسـخ هذا التكليف وأنزل اللّه عز وجل :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[3].

١- رواه مسـلم، برقم ١٢٧ وللبخاري لفظ مقارب برقم ٦١٧١ كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢- البقرة: ٢٨٥.

٣- البقرة: ٢٨٦.

لذلـك كانت هذه الآيات آيــات كفــاية للمؤمنيــن جميعاً ببركة استجابة الصحابة رضي الله عنهم ، كمــا ثبت عن رسول اللّه ﷺ :

(مَنْ قَـرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُــورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)[1].

المثال الثاني :

ونجد في آيات سورة آل عمران أنهم لما استجابوا للّه والرسول ﷺ مع ما هم فيه من الألم والمشقة وقالوا: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[2] ،كفـاهـم اللــه تعالــى كيــد الكفـار، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ .

فبقــي قول النبي ﷺ والمســتجيبين مــن الصحابة رضي اللّه عنهم ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾كفاية للمستجيبين من المؤمنين على مر السنين.

لذلك مجـد اللّه ذكرى أولئك المؤمنيــن الذين تحلوا بفضيلــة الاســتجابة متوكلين علــى اللّه، مما دفعهم

١- رواه البخاري ٣٧٠٧ ومســلم برقم ٨٠٧ كلاهما من حديث أَبِي مَسْعُود رضي الله عنه

٢- آل عمران: ١٧٣.

إلى مواصلة الجهاد، على الرغم من آلامهم وجراحهم، قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم؟ ارجعوا فاستأصلوهم.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب العدو، ويريهم من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذي أصابهم يوم أحد، ونادى منادي رسول الله ﷺ ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله إن أبي كان قد خلفني على أخوات لي سبعاً، وقال لي: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي

١- آل عمران: ١٧٣.

أؤثرك على نفسي في الجهاد مع رسول اللّه ﷺ فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول اللّه ﷺ فخرج معه.

وإنما خرج رسول اللّه ﷺ مرهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا.

فخرج رسول اللّه ﷺ ومعه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد اللّه بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبوعبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً، حتى بلغوا حمراء الأسد. وهي من المدينة على ثمانية أميال[١].

حينها: «ورجع المؤمنون بنعمة من اللّه وفضل، حيث منّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة، والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزوة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل اللّه عليهم»[٢].

١- تفسير البغوي ١٣٦/٢، سيرة ابن هشام: ١٤٣/٢-١٤٤، تفسير الطبري ٤٠٠/٧-٤٠١.

٢- تفسير السعدي ص:١٥٧.

وهكـذا تتألـق فضيلـة الاسـتجابة بنهايـات النصر والكفايـة، قـال تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾[1]. نجد اسـتجابة سريعة من العبد لربه تبعتها كفاية له من اللّه عز وجل.

٦ . بالاستجابة تغفر الذنوب :

قـال اللّه تعالـى : ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[2].

قـال الشـنقيطي: منطوق هـذه الآية أن مـن أجاب داعي اللّه محمداً ﷺ ، وآمن به، وبما جاء به من الحق غفر اللّه له ذنوبه وأجاره من العذاب الأليم[3].

وقـد دعا اللّه عز وجـل عباده إلى المسـارعة بفعل الطاعـات ووعدهـم بمغفـرة منـه، وجنـة عرضهـا السـماوات والأرض، فقـال تعالـى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[4].

١- آل عمران: ١٧٢.

٢- الأحقاف: ٣١.

٣- أضواء البيان ٧/٣٣٦.

٤ - آل عمران :١٣٣.

ويستدل على ذلك أيضًا بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

وكما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

٧- التمكين في الأرض وتحقيق وعود النصر :

قال بعض العلماء: الأمة المحمدية تنقسم إلى قسمين:

- أمة الدعوة .
- أمة الاستجابة.

فكل من بلغه هذا الدين فهو من أمة الدعوة، سواء استجاب أو لم يستجب، فمن بلغته الدعوة دخل في نطاق أمة البلاغ، ومن استجاب وطبق هذا الدين عقيدة وقولاً وعملاً فهو من أمة الاستجابة، إذ ليس المقصود مجرد الانتماء للأمة المحمدية، إنما المطلوب الانتماء إلى أمة الاستجابة.

١- الأحزاب: ٧٠-٧١.

٢- رواه البخاري برقم ٤٩٤ ومسلم برقم ١٤٤ كلاهما عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه.

وبتوضيح أدق: هناك من المسلمين من ينتمي إلى الأمة الإسلامية بالهوية أو بالولادة فقط، بينما من المسلمين من ينتمي إلى النبي ﷺ انتماء استجابة وانقياد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1].

إن من استجاب لدعوة النبي ﷺ فهومن أمته أمة الاستجابة، الأمة المسلمة ، وهذا الاسم الذي رضيه الله لنا ورسوله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فمن سمع الحق وفهمه وتدبر القرآن ووعاه وعمل به واتبع رسوله ﷺ فيما أمر ونهى، دخل في مجموع أمة الاستجابة.

وعندئذ فإن جميع الوعود التي وعدها الله للمؤمنين تنطبق على الأمة المستجيبة، التي هي خير أمة

١- رواه مسلم، برقم ١٥٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- الحج: ٧٨.

أخرجت للناس كما أخبر اللّه عز وجل وجعل خيريتها في قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1].

فلولم يؤمنوا باللّه، ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، فهم ليسوا معنيين في هذه الآية، إذاً الوعود المتعلقة بمجموع الأمة لا تتحقق إلا إذا كانت مجموع الأمة مستقيمة على ما يرضي اللّه عز وجل حينها يفي اللّه لها ما وعدها اللّه به.

فمن الذين وعدهم اللّه بالنصر؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[2].

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[3]

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

من هم الغالبون والأعلون؟

الجواب: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[5].

١- آل عمران: ١١٠.
٢- الحج: ٤٠.
٣- محمد: ٧.
٤- الروم: ٤٧.
٥- الصافات: ١٧٣.

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

لمن الخلافة في الأرض والتمكين؟

الجواب: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[2].

فما أشد حاجة المسلمين اليوم مع ما أصابهم من التفرق والاختلاف وتسلط أعدائهم عليهم للعودة إلى ربهم، وإعلان استسلامهم واستجابتهم للّه ورسوله.

إن ما يصيب شعوب الإسلام اليوم هوعاقبة الإعراض وعدم الاستجابة، إذ إن عاقبتها وخيمة ونهايتها أليمة.

وتأمل إلى نذارة نفر الجن لقومهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

الذي لا يستجيب لا يعجز اللّه أن يأتي به ويوقع عليه الجزاء، ويذيقه العذاب الأليم، فلا يجد له من دون

١- آل عمران: ١٣٩.

٢- المائدة: ٩.

٣- الأحقاف: ٣٢.

اللّه أولياء ينصرونه أو يعينونه، وأن هؤلاء المعرضين ضالون ضلالاً بيناً عن الصراط المستقيم "[1].

يا شعوب الإسلام..

يا أمة الاستجابة..

رفعتم رايات الرفض والغضب تجاه ظلم الأنظمة والقيادات، فلِمَ لا ترفعون رايات ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾[2]، وتعلنوا نداءات ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[3]، وتقوموا للّه مثنى وفُرادى شعوباً وقيادات، قَومةَ أوبةٍ وإصلاحٍ وإجابةٍ واستدراك عملاً بقوله تعالى:

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

فلن تصلح أحوالنا ولن تستقر شعوبنا ويرفع عنها الظلم والقهر حتى تستجيب الشعوب بمجموعها لأمر اللّه وتكون للّه كما يراد منها.

وإنما يتحقق هذا الأمر بأن يبدأ كل فرد مع نفسه يحاسبها ويقودها إلى الخير ويزجرها عن الشر، ويقيم

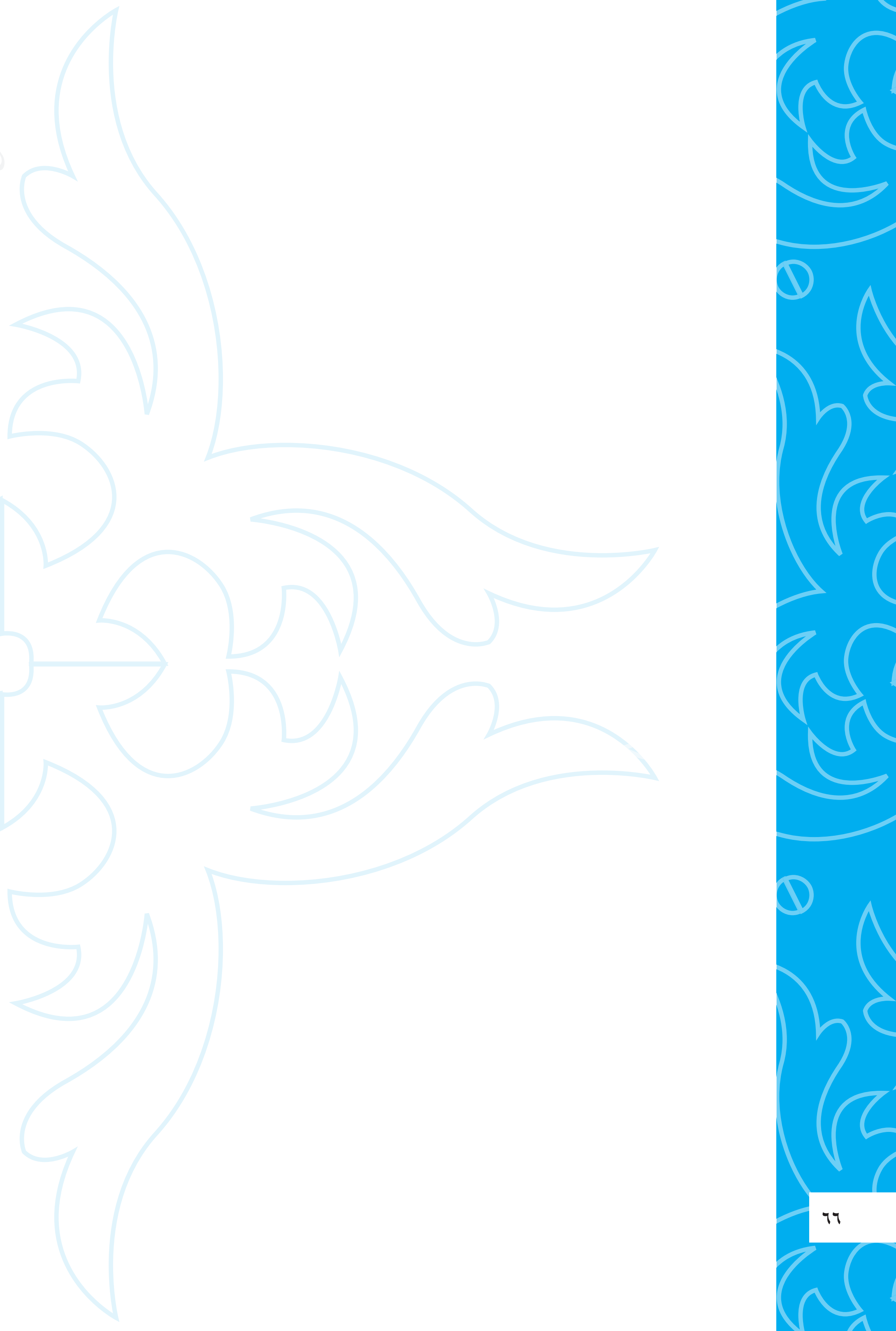
١- في ظلال القران ٦/ ٤٢٩.

٢- الأعراف: ٢٣.

٣- الأعراف :١٥٦.

٤- الأحقاف: ٣١.

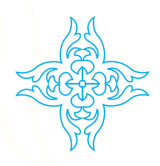
الإسلام في بيته ، يأمر أهله بالصلاة، ويطهر ماله من الحرام, ويربي أبناءه على قيم الإسـلام، وتتقي المرأة ربها في نفسها وفي حشمتها وعفتها، وأن نكون جميعاً على مستوى الإيمان والدين الذي رضيه اللّه لنا، وحينئذ يبـدل اللّه الحال غيـر الحال ونفرح جميعـاً بنصر اللّه.







طبقات المستجيبين





طبقات المستجيبين

إن من حكمة اللّه عز وجل أن جعل الناس طبقات متباينة مختلفة في معاشهم ومعادهم وفي طريق سيرهم إلى اللّه عز وجل والاستجابة له.

وينقسم الناس من حيث استجابتهم إلى قسمين:

القسم الأول :

المستجيبون لربهم قال تعالى:

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١].

أي: "يستجيبون لربهم فيما دعاهم له ويلبون دعوته لأن معهم من الإيمان والعمل الصالح ما يحملهم على ذلك"[٢].

١- الشورى: ٢٦.
٢- تفسير السعدي ص ٧٥٨

والقسم الثاني :

غير المستجيبين، وقد قال اللّه فيهم: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[1]، فالمقصود بغير المستجيبين للّه "المعاندون الذين كفروا به وبرسله"[2].

والقرآن يدل على أن كل مسلم مستجيب -وإن اختلف مقدار استجابته- قال ابن عاشور رحمة اللّه : "الاستجابة للّه ثابتة لجميع من آمن باللّه"[3].

وقال اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[4]، فيستدل على أمر اللّه بالاستجابة أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول اللّه أو قول رسوله ﷺ في حكم من الأحكام الشرعية، المبادرة للعمل به، وترك ما يخالفه من الرأي أو أقوال الرجال[5].

١- القصص: ٥٠.

٢- تفسير السعدي، ص ٧٥٨.

٣- التحذير والتنوير لابن عاشور ص١١١/٢٥.

٤- الأنفال: ٢٤.

٥- فتح القدير للشوكاني ٣٤٢/٢.

وعلى هذا فإن العباد يتفاوتون في استجابتهم لله كتفاوتهم في درجات الإيمان والتقوى على طبقات ثلاث نص عليها القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1].

فهم ثلاث طبقات:

- المستجيبون السابقون .
- والمستجيبون المقتصدون .
- والمستجيبون الظالمون لأنفسهم.

وهذه الدرجات الثلاث هي المقصودة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2].

فأقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ﷺ ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه وحتى يسلموا لحكمه تسليماً، وهذا حقيقة الرضا بحكمه.

١- فاطر: ٣٢.

٢- النساء: ٦٥.

- فالتحكيم في مقام الإسلام .
- وانتفاء الحرج في مقام الإيمان .
- والتسليم في مقام الإحسان [1] .

والاستجابة المأمولة هي الاستجابة الخاصة، وهي الاستجابة المثلى التي تمحص القلوب, فتبين قوة الإيمان وقوة الصلة بالخالق سبحانه في ساعات تتوالى فيها الفتن، وتندلع حولها نيران الشهوات, وتتكاثر فيها مزالق الشبهات، فيسطع في القلب نور الحق، فيحرق الشبهات المضللة، ويخمد الشهوات المثبطة؛ ولذا يحمد عند اللّه الذكر في مجالس اللهو، والصلاح في وقت الشباب، والعلم في زمن الجهل، والشجاعة في وقت الجبن, ولو كانت الاستجابة المأمولة منك هي الاستجابة التي ترى مظاهرها لدى كثير من المسلمين لما كان هناك من مزية, فعامة المسلمين من المستجيبين للّه, ولكن الاهتمام ينصب على الطبقة الأولى التي تتطلب همة عليا وعزيمة صادقة ولكن اللّه ييسرها لمن يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

١- مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٠١.

٢- العنكبوت: ٣٩.

الطبقة الأولى :

المستجيبون السابقون :

إن هـذه الدرجة هـي أعلى الدرجـات وأكملها، نالها قليل من الطالبين الذين اجتهدوا في تحقيق الاستجابة المثلى، جعلنا اللّه وإياك منهم .

فمن هؤلاء؟

ذكر العلماء أقوالاً في ذلك:

قيل : إنهم الأنبياء.

وقيل : هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة.

وقيل : السابقون إلى المساجد والصلوات الخمس.

وقيل : السابقون إلى الجهاد.

وقيل : السابقون إلى البر.

وقيل : السابقون إلى طاعة اللّه.

وقيـل : السـابقون إلـى اللّه بالتقـرب بالنوافل بعد الفرائض [١].

والمعنـى الجامـع لهـذه الأقـوال أن المسـتجيبين السـابقين هم من تسـابق للقرب من اللّه بالاستجابة

١- الدر المنثور للسيوطي ١٥٤/٦، تفسير القرطبي ٦٣٦٩/٧، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشـيطان لابن تيمية ص١٩، شرح الطحاوية لابن أبي العز ٥٠٨/٢

بالنوافل بعـد الفرائض في أعمال القلـوب والجوارح، ومـا أجمـل ما ذكـره ابن رجـب رحمة اللّه حيـث قال: "هـم الذين تقربوا إلى اللّه بعـد الفرائض بالاجتهاد فـي النوافل والطاعات والانكفاف عـن دقائق المكروهات بالورع" [1].

ولا شـك أن أعظم الناس اسـتجابة الأنبيـاء عليهم السـلام حيـث قامـوا بأعظم ما أمـر اللّه بـه لتحقيق كمال التوحيد في أنفسـهم والدعوة إليه في أقوامهم، وأكمل الأنبياء في الاستجابة محمد ﷺ، فإبراهيم عليه السـلام ، ثم بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ثم الصحابة رضي اللّه عنهم ، ثم من تبع منهجهم وسـار على طريقهم.

وعلى هذا فمن حقق الاسـتجابة المثلى فلن يخالف توحيـد اللّه أو شـرعه، ولن يذهب لسـاحر أو كاهن أو عـراف أو منجـم، كمـا إنه لـن يحكم بغير شـرع اللّه، ولـن يـأكل الربا، أو ينظر لما حـرم اللّه، أو يقدم هواه وشهوته على أمر اللّه ورسوله ﷺ .

١- جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٣٩.

ولعظم أمر الاستجابة اتخذت وسيلة يتوسل بها إلى اللّه في إجابة الدعاء ومغفرة الذنوب ودخول الجنة، كما قال تعالى على لسان زكريا علية السلام : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾[1]. فقد توسل إلى اللّه بما سلف له من الاستجابة[2].

ولعلك تتفكر فيما ورد في توسل أولي الألباب والعقول الراجحة حيث قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[3]

١- مريم: ٤.

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٣/٤.

٣- آل عمران ١٩١-١٩٤.

ففـــي هذه الآيات توســلات ضارعة صادرة عن قلوب منيبة خاشعة، وكانت توسلا بسرعة الاستجابة لداعي اللّه عز وجل دونما تردد[1].

وصاحب هذه المرتبة سيقدم محاب اللّه على محابه، وسيترك كل شبهة ويخرج من كل شهوة بل ويدع شيئا من الحلال حتى لا يقع في الحرام، قال بعض الصحابة: «كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في الحرام»[2].

١- التوسل في كتاب اللّه لطلال مصطفى ص٢٦.

٢- مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٣.

الطبقة الثانية :

المستجيبون المقتصدون :

وهذه هي الدرجة التالية في الفضل لدرجة السابقين ويسمون المقتصدين وأصحاب اليمين والأبرار.

فمن هو المستجيب المقتصد ؟

إنــه المؤمن المطلق الذي أدى مــا أوجب اللّه عليه واجتنب ما حرم اللّه عليه ولم يرتكب كبيرة، ولم يترك فريضة، ولم يكلف نفسه بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات [١].

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٨/٧-٣٦١ ، الفرقان لابن تيمية ص ١٩.

الطبقة الثالثة :

المستجيبون الظالمون لأنفسهم :

إن لـكل مسـلم اسـتجابة للّه وإن ضعفـت أو قلـت فالاستجابة كالإيمان تزيد وتنقص بحسب ما يكون للعبد من العمل، والظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور أو بفعـل محظور فهو صاحب الذنب المصـر عليه [1]. فهو ظالم لنفسه بالمعاصي دون الشرك فله حظ الإيمان [2].

ويلخص ابن القيـم رحمة اللّه أحوال هذه الطبقات الثلاث فيقول:

«وهؤلاء كلهم مستعدون للسير، موقنون بالرجعى إلـى اللّه، ، ولكـن متفاوتون فـي التـزود وتعبئة الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.

فالظالـم لنفسـه مقصر فـي الزاد غير آخـذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته, بل مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود بما يتأذى به في طريقتـه, ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من ذلك المؤذي والمقتصد، اقتصر من

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦١/٥ ، الفرقان لابن تيمية ص٢١.

٢- طريق الهجرتين لابن القيم ص١٩٠.

الــزاد على ما يبلغه، ولم يشــد مع ذلــك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم .

لكــن فاتتــه المتاجــرة الرابحــة وأنــواع المكاســب الفاخرة، والســابق بالخيرات همــه في تحصيل الأرباح وشــد أحمال التجــارات, لعلمه بمقدار الربــح الحاصل, فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده ولا يتجر به, فيجد ربحه يــوم يغتبط التجار بأرباح تجارتــه ، فهو كرجل قد علم أن أمامه بلدة: الدرهم يكســب فيها عشرة إلى ســبعمائة وأكثر, وله خبــرة بطريق ذلــك البلد وخبرة بالتجــارة، فهــو لو أمكنه بيع ثيابــه وكل ما يملك حتى يهيئ به تجارة إلى ذلك البلد لفعل، فهكذا حال السابق بالخيرات بإذن اللّه يرى خســراناً بيناً أن يمر عليه وقت في غير متجر» [١].

١- طريق الهجرتين، ابن القيم ص ١٧٧.



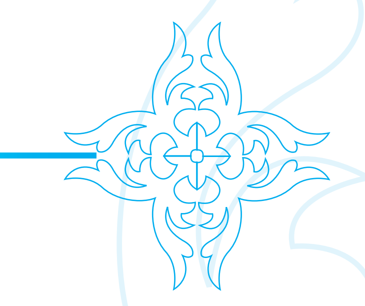


عوائق في طريق الاستجابة



عوائق في طريق الاستجابة





قسم اللّه تعالى عباده إلى فريقين: مستجيب لربه وجزائه الحسنى، وغير مستجيب وجزاؤه النار قال اللّه تعالى : ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1].

فقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أي: أجابوا لربهم فأطاعوه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾أي الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾، أي لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ .

١- الرعد ١٨

قال إبراهيم النخعي رحمة الله:

"سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ أي في الآخرة ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي الفراش"[1].

فالفرق بين المستجيب وغير المستجيب هونفسه الفرق بين المؤمن والمنافق، فإن الفرق بين المؤمن والمنافق يظهر في سرعة الاستجابة والمبادرة، والسمع والطاعة والانقياد للحق إذا ظهر.

يقول الله تعالى مبينا صفات الفريقين في ذلك:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[2].

١- تفسير البغوي ٤/٣٠٩.

٢- النور ٤٧ -٥٢.

فشـأن المؤمن المخلص أن يسـارع في الاسـتجابة ولا يتباطـأ عـن مواطن الخيـر؛ لأن التباطـؤ في الخير والتثاقل دونه، من شأن الذين في قلوبهم مرض، كما قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

هنا يُطرح سؤال مهم:

لماذا لا يسـتجيب بعض النـاس لربهم الذي خلقهم وشرع لهم دينا قيماً سمحاً ما جعل عليهم فيه من حرج؟

الجواب: إنه الابتلاء بالسنن الإلهية التي يجريها اللّه علـى عباده، ليتبين المؤمن من المنافق، والصادق من الـكاذب، قـال اللّه تعالـى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2].

وفي الصفحات التالية نستعرض عدداً من المعوقات التي تكتنف طريق الاستجابة للّه تعالى ورسوله ﷺ :

١- النساء: ١٤٢.

٢- العنكبوت: ٢.

معوقات الاستجابة

١- ضعف الإيمان بالله واليوم الآخر :

فيحصل منه الاغترار بالله وعدم تعظيم أوامره، ونسيان الآخرة، وهذا ينشأ في الغالب من الجهل بالله تعالى، والإعراض عن تعلم دينه، فيغلب على الإنسان الغفلة والظنون والغرور، كما قال الله تعالى :

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[٢]

وهذا الداء يعالج بالعلم والتعلم والنظر في كتاب الله نظر المتدبرين المسترشدين؛ لأن القرآن هوكتاب الله الذي يهدي إليه ويُعَرِّفُ العبد بربه، فيستنير قلبه بنور معرفته، ويزداد شوقاً إلى جنته.

١-النجم: ٢٩-٣٠.

٢- الكهف: ٢٨.

٢- الكبر والاستعلاء عن قبول الحق :

يقول النبي ﷺ في بيان معنى الكبر: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[١]، وبطر الحق هورده بعد ما يتبيَّن، فكل من رد الحق ولم يذعن له فهومتكبر شاء أم أبى.

أليس الكبر هو الذي أخرج إبليس من ملكوت السماوات وأنزله إلى الأرض، وأتبعه باللعنة والغضب؟

بلى: إنه الكبر الذي دفعه إلى عدم إجابة أمر اللّه تعالى بالسجود لآدم، فجرَّ على نفسه اللعنة إلى يوم الدين.

إنه الاستعلاء الآثم على حكم اللّه ورسوله ﷺ ، وهذا الاستعلاء الذي تؤزه النوازع الشيطانية في النفوس البشرية.

فهذا جَبَلَةَ بن الأيهم ملك من ملوك الغساسنة يطوف بالكعبة بعد أن أسلم، فإذا بأعرابي يدوس خطأ على إزاره، فالتفت إليه جَبَلة بن الأيهم ولطمه على خده.

فقال الأعرابي: لأشكونك إلى عمر أمير المؤمنين.

استدعى عمر جَبَلَة وخيره بين أمرين:

- إما أن يعتذر له وأن يترضاه .
- وإما أن يلطم الأعرابي جبلة بن الأيهم .

١- رواه مسلم (٦٦/١) برقم (١٤٧) عن ابن مسعود.

فدهــش جبلــة الملــك الغســاني مــن حكــم عمــر (وهوحكم الإسلام) وقال: كيف تسوي بيني وبينه، إنما أنا ملك وهو سوقه[1].

فقال عمر رضي الله عنه: إن الإسلام سوى بينكما، فدعك من هذا.

فقال جبلة: أجلني حتــى أختار، فلما كان الليل هرب مع حاشيته إلى بلاد الروم، وتنصَّر مرتداً عن الإسلام[2].

هناك من المســلمين مــن يحمل نفســاً مثل نفس جبلة في استعلائها على حكم اللّه ورسوله ﷺ ، ولكنها تحتــال على الأمــر بالمبــررات الواهية, وتســتند على الأقوال الشاذة والمضطربة.

ومنــه: الكبر والترفع بدعــوى جاهلية مقيتة، وهي فتنــة الطبقية والقبليــة والتفاخر بالأحســاب والطعن بالأنساب، وكأنهم لم يسمعوا قول اللّه تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3]

١- أي من عامة الناس.

٢- ذكرها ابن كثير في « البداية والنهاية » (٦٣/٨) وابن عساكر في « تاريخ دمشق» (١١/١٩)، والبيهقي في كتابه (المحاسن و المساوئ) ص ٧٢ .

٣- الحجرات ١٣ .

فليس في ديننا فضل لصاحب نسب على نسب، فالكل سواسية، وقد زوّج النبي ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش لزيد بن حارثة – مع أنه من الموالي- بعدما اشتراه النبي ﷺ وأعتقه, فهلا استجبنا؟!

٣ـ اتباع الهوى :

أضر شيء على دين الإنسان الهوى إذا خالف نهج الكتاب والسنة، وما من معرض عن حكم اللّه ولرسوله ﷺ إلا والهوى سبب من أسباب إعراضه.

قال اللّه تعالى مبيناً أن عدم استجابة الكفار للنبي ﷺ إنما هو اتباعهم لأهوائهم: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١] .

في قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ ﴾ دليل على أن كل من لم يستجب للرسول ﷺ وذهب إلى قول مخالف لقوله، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى[٢].

إنَّ اللّه تعالى حذر الناس من اتباع الهوى إذا خالف

١- القصص: ٥٠.

٢ - تفسير السعدي ص ٦١٧.

الحــق والدين، بل حكم بأن الذيــن يطيعون أهواءهم فــي ذلك يعبدون غير اللّه، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]

وليحــذر المســلم من تمكــن الهوى، فــإن الهوى إذا تمكــن مــن صاحبه صعــب عليــه التخلص منــه، وإن النفــس إذا رأت من صاحبها طاعة دائمة طمعت بكثرة الطلب، ولم تتوقف شهوتها عند حد معين، فهي تنتقل من كثرة المباحات التي تقسي القلب، إلى المكروهات، ثم إلى المحرمات، حتى تستقوي على صاحبها.

قال سهل بن عبد اللّه التستري رحمة اللّه :

"إذا عــرض لك أمران شَــككت في خيرهمــا فانظر أبعدهما من هواك فإنه خير"[2].

والمقصود أن يأخذ نفسه بخلاف هواها فيما يتبين له ، فلا يســامحها في ترك واجــب أو ما يقرب منه، ولا في ارتكاب معصية أو ما يقرب منها[3].

١- الجاثية ٢٣.
٢- تفسير الثعلبي ٣٦٢/٨
٣- منارات في الطريق العزيز الجليل ٧٧ .

ويمكن التخلص من الهوى بجرعة صبرٍ يُصَبِّرُ نفسه على مرارتها تلك الساعة مع سؤال ربه: «اللهم أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه».

ولينظر المسلم إلى نفسه ويسألها:

هل الشيء الذي أهواه وأحبه محبوب للّه ورسولهﷺ أم لا؟

هــل الأمر الذي أنشــط لــه وأرغب فيه وأســعى إلى تحصيله مما يحبه اللّه ورسوله ﷺ أم لا؟

فــإن كان مــا يهواه مما يحبه اللّه ورســوله فليبشــر بالسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كان غير ذلك، فالبدار البدار إلــى تصحيح المســار، وتعديــل العلاقة مع اللّه تعالى، لينال سعادة الدنيا وفوز الآخرة.

٤ ـ مسايرة الواقع والخوف من الناس :

إن المشي مع العادات ومراعات رضا الناس وسخطهم، فتنة لا يستهان بها , سقط فيها كثير من الناس وضعفوا عن مقاومتهم, فما أكثر صور المخالفات التي هي نتاج هــذا العائق فما نرى مــن تقليد ســافرٍ لمظاهر البذخ والإســراف والتقليد الأعمى لأهل المعاصي والمخالفات

إنمـا هو من جراء هـذه المسـايرة، وإذا ذكّرهم مذكر قالوا: هكذا يريد المجتمع وكل الناس يفعلونه, ونسوا حديث رسول اللّه ﷺ : «من التمس رضا اللّه في سخط الناس رضي اللّه عنه وأرضى عنه الناس، ومن إلتمس رضا الناس في سـخط اللّه سـخط اللّه عليه وأسـخط عليه الناس»[1].

وكـم من الناس يريد الطاعة والاسـتقامة والالتزام بأوامر اللّه ورسـوله ؛ لأنهم يعلمون يقيناً أن السـعادة في القرب من اللّه، وأن الشـقاء كل الشـقاء في البعد عنـه، ولكنهـم يتـرددون ويتراجعـون ويحجمـون ولا يتقدمون، والسبب في ذلك هو الخوف من كلام الناس وأذاهم أوسخريتهم واستهزائهم ...

فيقـال لمن وجد هذا في نفسـه: ومن هم الناس؟؟ هل هم يملكون رزقك أو أجلك أو حياتك أو نشورك؟؟

وأي شـيء سـيحصل بـأذى النـاس و ذمهـم, وقـد كفـى اللّه عبـده المؤمـن بقولـه:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[2].

١- رواه ابـن حبان (١/٥١٠) برقم (٢٧٦) عن عائشـة رضي الله عنها وصححه الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب برقم (٢٢٥٠).

٢- الزمر: ٣٦.

قال ابراهيم ابن أدهم «مالي وللناس كنت في بطن أمـي وحـدي وخرجت إلـى الدنيا وحدي وأمـوت وحدي وأدخـل قبري وحـدي وأسـأل وحدي وأبعـث من قبري وحدي وأحاسـب وحـدي فإن دخلت الجنـة دخلت وحدي و إن دخلـت النـار دخلت وحدي, ففي هـذه المواطن لا ينفعني أحد فمالي وللناس» [1].

ثم يقال له: أتريد جنة عرضها السـماوات والأرض بـلا تعـب ولا كـدّ ولا بـلاء ولا تمحيـص ولا اختبـار؟ كيف يكون ذلك!

وقـد قال اللّه تعالـى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2].

إنَّ مـن يريد مركـزاً اجتماعياً أو منصبـاً دنيوياً لابد له في سـبيل الحصـول عليه من كـدّ وتعب وتضحية بالوقـت والجهـد, غير مبـال بنقـد الحاسـدين ولا ذم العاذليـن فكيف بمن يريد سـعادة الدنيـا والآخرة ، إنَّ الأمر لابـد له من عوائق: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [3].

١- إيقاظ الهمم شرح متن الحكم , ابن عجيبة ١٧٦/١

٢- آل عمران ١٤٢

٣- العنكبوت: ٣.

ثم إن الاستهزاء وسيلة شيطانية يطلقها الشيطان وأعوانه من بني آدم على كل من يريد القرب من اللّه، فما سلم منه الأنبياء والمرسلون حتى نسلم منها نحن، قال اللّه عن نوح واستهزاء قومه به: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1].

٥- الدنيا وإغراءاتها وشهواتها :

إن الدنيا ومغرياتها وشهواتها لا يتماسك أمامها إلا من ثبته اللّه عز وجل ، فخاف مقام ربه سبحانه، ونهى النفس عن الهوى، وكان في عمره حذرًا خائفًا من مزلات الأقدام ومضلات الفتن.

ولقد وُجِدَ في زماننا اليوم من مغريات الدنيا وفتنها وشهواتها ما أصبح سببًا في تساقط كثير من الناس في حبائلها، وبعدهم عن طريق الاستقامة، حيث انفتحت الدنيا بزخرفتها وزينتها.

وشمل ذلك جميع جوانب الحياة، وساير الناس بعضهم بعضًا فيها، وتنافسوا فيها حتى أوقعهم ذلك في الترف

١- هود: ٣٨.

المحـــرم، والتفاخــر فـــي الأمــوال والأولاد والمســاكن واللبــاس ... إلخ، وكان للمــرأة النصيب الأكبر من هذه الفتنة، ففتنت نفســها، وفتنت غيرهــا، وظهرت ألوان وألوان من المخالفات الشرعية لم يسلم منها إلا من رحم اللّه عز وجل .

كما انفتحت مجالات الإفساد على الناس من أوسع أبوابها المقروء والمسموع والمشــاهد، والتي تركز على إثارة الشهوات، وإشاعة الفاحشة بين الناس وتسهيل أمرها.

وقــد يقــاوم بعــض أهــل الخيــر هــذه الشــهوات والمفاســد، وينــأى بنفســه وأهلــه عنهــا فــي أول الأمــر، لكن قوة تيار الفســاد، وشــدة الضغــوط التي تضغــط عليــه من داخــل بيتــه، ومن خارجــه، تجعل بعضهــم لا يســتطيع الاســتمرار فــي المقاومــة والثبــات لمــا يواجــه مــن العنت والمشــقة فــي ذلك.

وقد يكون متألمًا في أول الأمر، لكن ما يلبث أن يستمرئ المنكر مع مرور الوقت، ويستسلم لهواه في ذلك.

ومما ابتلي به كثيــر من الناس في هذه الأزمنة من الشــهوات, الســفر إلى بــلاد الكفر من غيــر حاجة ولا

ضرورة, وإنما بمبرر السـياحة والفرجة, مع أن الواجب على المسلم أن يفر بدينه من الفتن لا أن يفر إلى الفتن.

قـال اللّه تعالـى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [١].

ولا يخفـى على العاقل ما في هـذا الصنيع من فتنة على الدين والأخلاق, ومما يزيد الأمر خطورة اصطحاب الأهل والأولاد إلى تلك البلاد, بالإضافة إلى ترك النساء لحجابهـن واختلاطهن بالرجـال وذهابهـن إلى أماكن الاختلاط من مسـارحٍ وملاهٍ ومقاهٍ, فـوق ما في تلك الأسفار من الإسراف وتبذير للأموال, وقد تعدى هذا الأمر من العامة إلى بعض المنتسبين من أهل العلم والدعوة.

فـلا يليـق بمؤمن يرجو لقاء اللّه, إلا أن يمسـك عن هذه الأسـفار, ويحمي نفسـه ودينه وأهله من الفتن, وكما قال رسول اللّه ﷺ : (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ) [٢].

١- طه: ١٣١.

٢- رواه أبو داود (٤/١٠٢) برقم (٤٢٦٣) عن المقداد بن الأسـود ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٧٤٣) .

٦- ضعف الإرادة وطول الأمل :

من الناس من يفكر في الاستقامة ويتمنى أن يستجيب، ويحسد المستقيمين على ما هم عليه من خير، لكنه لا يتحرك ولا يتقدم، وما ذلك إلا لضعف إرادته من جهة، ولتغلب الشيطان عليه من جهة أخرى؛ إذ غره بالتسويف وطول الأمل، إذ منهم من يقول: غداً أتوب، ومنهم من يقول: الأسبوع المقبل، أو إذا جاء رمضان، أو بعد الزواج، أو بعد عودتي من الحج، وهكذا!!.

وعلاج هذا الضعف، وهذا التغرير، أن يتذكر العبد أن الموت يترصد له وينتظره، وإذا أخذه أخذه بغتة وعلى حين غفلة، وأنه إذا جاء فلا يتقدم ولا يتأخر، وأن يتذكر أنه ليس كل أحد يموت في سن متأخرة وعن عمر طويل، بل من هم من يموت في فراشه أوبين أهله.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[١].

يا من بدنياه اشتغل ... وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل[١]

١- المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

وليعلم العبد أن مجرد نية التوبة دون تحقيق لها، قد يثـاب عليها، لكنها لا تنفعه ولا تشـفع له ما لم يتبعها بعزيمة جادة؛ لأن العبرة بالعمل وبحسن الخاتمة.

٧- التقليد الأعمى والهزيمة النفسية :

لقـد انبهر بعـض المسـلمين بما رأوه مـن حضارة الغرب، وما فيها من التقدم العلمي والصناعي، والترف المـادي، وصاروا يحاكـون الغرب في كثيـر من عاداته وتقاليده، وبخاصة أولئك الذين درسوا في بلاد الغرب، أو كانوا من المكثرين من الأسـفار إلى بلدانهم، سواء للتجارة أو السـياحة أو غيرهـا، أو الذين فتحوا قلوبهم وعقولهـم وبيوتهم لثقافـات الغرب وعاداته وفسـاده ومجونـه التي تبث عبر القنـوات وغيرها، مع خواء في العلم الشـرعي، وضعف التربية الإيمانية (فوافق قلبًا خاليًا فتمكنا)، وظهرت كثير من المخالفات الشـرعية، مـن أخطرها: مـوالاة الكفار، والتشـبه بهـم، وضعف البراءة منهم. وانتهاءً بدقائق العادات والممارسـات في المأكل والملبس والمسكن... وغيرها.

٨- الفتاوى المضللة :

إن إفتاء الناس في دينهم أمانة عظيمة، كان السلف الصالح –رحمهم الله- يخافون منها أشد الخوف؛ لأنهم يبلغون عن الله عز وجل ، وعن رسوله ﷺ هذا الدين.

وعامة الناس يتعلقون بفتاوى أهل العلم، وينفذون أقوالهم على أنها حكم الله تعالى.

نقل ابن الصلاح رحمه الله عن محمد بن المنكدر رحمة الله ، قال: "إن العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم"[١].

ولو تأملنا في المخالفات التي يقع فيها الناس اليوم لرأيناها بسبب تعلقهم بفتاوى بعض من انتسب لأهل العلم مع قصور في علمهم وورعهم، فلم يكن عندهم الورع الذي يمنعهم من كتم الحق ومسايرة أهواء الناس.

فكان من أسباب انحراف الناس: ووقوعهم في المخالفات الشرعية تسويغ بعض المفتين هذه المخالفات للناس، بليّ أعناق النصوص، وتحكيم العقل والرأي في مقابلة النصوص، أو التعلق بأدلة

١- في أدب المفتي ص ٧٤، وانظر: الفقيه والمتفقه ١٦٨/٢.

واهية، أو الأخذ بشذوذات الفقهاء وزلاتهم، أو الاستدلال بقواعد التيسير وإنزالها في غير محلها.

كما يظهر فــي هذه الأزمنة المتأخرة حيث تســاهل بعض المفتين وتسرعوا في إفتاء الناس بفتاوى تطير عبر وســائل الإعلام بشــتى صورها إلى أصقاع الدنيا، فيعمل بها الناس، مع مخالفتها **أحيانًا** للدليل الصحيح، أو حاجتهــا إلى مزيد من التأمل والدراســة، والنظر في حال المســتفتي وزمانه ومكانه وقصده، أو الإفتاء في مسألة دون النظر إلى مآلات الفتوى فيها.

ومما يؤلم النفس أن نرى في هذا الزمان جرأة على أحكام اللّه عز وجل من الصغير والكبير والمرأة والرجل، لا يتورعــون عن القول في شــرع اللّه تعالى بلا علم[1]، ونســي ذلك المفتي والمستفتي أن اللّه سيسألهم يوم القيامة بقوله: ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[2].

٩ – ضعف مواقف القدوات في الاستجابة :

وكما قيــل: خطأ الكبير كبير؛ لأنــه في موضع قدوة ويظــن به الصواب، فينشــأ عن ذلك جيــل يتربى على

١- وقفـات تربوية في ضوء القرآن الكريم-فاسـتقم كما أمرت-عبد العزيز بن ناصر الجليل

٢- القصص: ٦٥.

الضعـف والتنـازلات فـي الدين, ويشـبّ الشـاب على الضياع والطيش بلا هوية ولا انتماء، وتنشأ الفتاة على الميوعة والتقليد الأعمى.

فصاحب الرعية مسـؤول عن رعيته أمام اللّه فضلا عن مسؤوليته تجاه نفسه.

وحيثمـا تتبعنا مظاهـر الضعف في الديـن, والخلل في السـلوك الأخلاقي, وجدنا من أبرز أسـبابه, ضعف القدوة أو سقوطها بالكلية.

١٠- الخوف من الانتكاس :

إن مـن الناس من يجعل الخوف من الانتكاس وعدم الثبـات عائقا يحـول بينه وبيـن الاسـتجابة، كالتي لا تلبـس الحجـاب خوفا مـن نزعه، ومن يقـول لا أصلي لأنـي أخاف أن أتركها.

وهـذا من اسـتهزاء الشـيطان ببعض النـاس وهو أضعف شبهة وعائق على الإطلاق.

ويجاب عنه بضرب المثال؛ فهذا مثله مثل غريق في وسط أمواج قيل له: "اركب في سفينة"، فقال أخاف أن تتكسر السفينة.

فآثر الغرق على محاولة النجاة بهذا الخوف الأحمق.

ويقـال لمـن راوده هذا التفكير إن حمـل هم الثبات والخـوف من الانتكاس أمر محمـود، ولكن إذا كان بعد التوبة والاستقامة، وقد قال النبي ﷺ :

"ثَلاثٌ مَــنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّــهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"[1].

١١- الاغترار بالأعمال الصالحة :

يقول الشيطان لبعض الناس:

أنت تصلي يكفيك ذلك ، ولماذا تتوب؟

لست الوحيد في العالم الذي يعصي، كل الناس يفعلون ذلك! ليس ذنبك أعظم الذنوب، هناك من هو أسوأ منك.

وقد يقول لآخر:

لا يضرك أن تُرابيَّ فأنت إنسان صالح لا تؤذي الجار، وترحـم الصغـار، وتعين الفقـراء وتحب عمـل الخير، وقلبك سليم على الآخرين.

١- رواه البخـاري برقـم ١٥ ، ورواه مسـلم برقم ٤٣ كلاهمـا عن أنس ابن مالك رضي الله عنه .

فليحذر المسلم من الاغترار بوسوسته، وليحذر من الاغترار بالطاعة.

فكـم من طاعة أهلكت صاحبهـا إذا اغتر بها وفرح، قـال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1].

فـلا أحـد يـدري هل عملـه هـذا مقبـول عند اللّه أم لا؟.

قال تعالـى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾[2].

سـألت عائشة رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَتْ عَائِشَةُ:

أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَـارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»[3].

وقال فضالة بن عبيد رضي الله عنه :

"لأن أكـون أعلـم مـن أن اللّه قد تقبل منـي مثقال

١- الأعراف: ٩٩.

٢- المؤمنون: ٦٠.

٣- رواه الترمذي برقم ٣١٧٥ - ٧٩/٣ وابن ماجه برقم ٤١٩٨ وأحمد برقم ٢٥٣٠٢ في ١٥٩/٦ وصححه الالباني في السلسلة ١٦١/١ برقم ١٦٢

حبة خردل، أحب إلي من الدنيا وما فيها. لأن اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [١][٢].

١٢- الأصدقاء وجلساء السوء :

حينما يقرأ العبد آيات ربه التي تدعوه للاستجابة لأمره، ويسمع داعي الهدى إلى الاستقامة على شرع ربه, فإنه يرغب بسلوك طريق النجاة.

ولكن ما يلبث إلا أن يحيط به أصدقاؤه وجلساؤه فيصرفونه عن أمر اللّه ويثبطونه دونه .

فإن الصحبة قد تكون كالقيود التي تكبل الإنسان عن التخلص مما يود التخلص منه.

وكم من رفيق صد صاحبه عن اتباع طريق الهداية والخروج من ظلمة المعصية إلى نور الهداية.

حتى إذا كان يوم القيامة عضّ على يديه -لا أصابعه- ندماً وحسرة!.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى

١- المائدة:٢٧.

٢- كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٩ وانظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٧/٢ للأصبهاني ، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١١١/٥ .

﴿لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[1].

تقول إحدى النساء:

«إنني عندما أجلس مع النساء في الاجتماعات الدورية, أشعر بالضعف عن الالتزام بديني[2] وإذا جلست مع صاحباتي الخيرات في الدروس الشرعية أشعر بالقوة في اتباع الحق».

وهذا الذي تحكيه هذه المرأة هو مثل واقعي لأثر الصحبة في قوة الاستجابة وضعفها, والسعيد من فارق كل رفقة تعيقه عن الاستجابة لنداء الإيمان, واختار الرفقة التي تقربه إلى رضا الرحمن, وصبر نفسه معهم مستعيناً بربه, ممتثلاً قوله تعالى:

(وَاصبِرْ نفْسكَ معَ الَّذِينَ يدْعونَ رَبَّهُم بِالْغدَاة وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعدُ عَيْناكَ عَنهمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحياة الدُّنيا وَلَا تُطِعْ منْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمرُهُ فُرُطًا)[3]

١- الفرقان: ٢٧ – ٢٩.

٢- ربما لأن بعض هذه المجالس يكثر فيها الغيبة والنميمة والقيل والقال، وهذه معاصي لها أثرها السلبي في قسوة القلب.

٣- الكهف ٢٨.

١٣- اليأس من رحمة الله تعالى :

من عوائق الاستجابة في طريق التوبة اليأس من رحمة اللّه تعالى, فهناك من يدخل عليهم الشيطان من جهة اليأس من رَوح اللّه، فيقول له: أنت فعلت وفعلت فكيف يغفر اللّه لك؟ يعظم في نفسه الذنب ليصده عن الاستجابة للأمر بالتوبة، واللّه تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

ألا يستمع هذا اليائس لنداء الرحمن لعباده الغارقين في العصيان : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]. نعم إنه يغفر الذنوب جميعا بما فيها الشرك والكفر إذا تاب العبد إليه وأناب.

وقَالَ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ يبسُط يدَهُ باللَّيل ليَتوبَ مسيءُ النَّهارِ، وَيبسطُ يدَهُ بالنهارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تطْلُعَ الشمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[3].

١- يوسف: ٨٧.

٢- الزمر: ٥٣.

٣- رواه مسلم برقم ٢٧٥٩ عن ابي موسى رضي الله عنه .



استجبنا لك
الاستجابة بين الرهبة والرغبة



الاستجابة بين الرهبة والرغبة

تبقـى امتحانات الرغبـة والرهبة سـنة اللّه الجارية في خلقه، ولو مـع أوليائه وأهل طاعته, فلا يبقى حي إلا وهو مفتـون مبتلى, فلكل دعوة برهان, ولكل قول حقيقـة: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [1].

ويأبـى اللّه إلا أن يبتلي المحبين في صدق محبتهم, والمتقيـن فـي قـوة إيمانهـم: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [2].

فهـذا يريـد الدنيـا وذاك يريـد الآخرة، قـال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [3].

١- العنكبوت: ٢.

٢- محمد: ٣١

٣- سورة آل عمران : ١٥٢.

وهذا يؤثر رضى اللّه وذاك يؤثر رضى الناس, قال ﷺ: «من التمس رضا اللّه بسخط الناس رضي اللّه عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللّه سخط اللّه عليه، وأسخط عليه الناس»[1].

فلا تخلو الحياة من مواقف وخيارات تمحص الحقائق وتسبر البواطن, لينال بها صاحبها نقاط التميز, ووسام شرف الحياة الحقيقية الممتدة إلى جنات ونهر ورضوان من اللّه أكبر.

وحين يُمتحن الإنسان تنكشف له حقائق نفسه من خلال المواقف, فهب أن إنساناً ألّف كتاباً في الأمانة, فلن يكون أميناً حتى يتعرض لموقف يُطالب فيه بأداء الأمانة, فإن أدى الأمانة فهو حينئذ المؤمن المؤتمن.

١- تقدم تخريجه ص ٩٢

أمثلة لمواطن الرهبة :

والمؤمن بين مواقف الرغبة والرهبة في امتحانٍ كبير دائم:

فمن الرهبة: الخوف من عاقبة الاستجابة في باب الإنفاق, فيخشى الفقر ويأمل الغنى, واللّه تعالى يقول: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

ومن الرهبة: الخوف من الناس في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بحجة الخوف من أذاهم، أو اليأس من اهتدائهم, كما قال قوم في كتاب اللّه: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[2].

والمتأمل في آية الأمر بالاستجابة لأمر اللّه والرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[3].

١- سورة البقرة : ٢٦٨
٢- سورة الأعراف : ١٦٤
٣- سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥

والفئة المذكـورة في الآية ربما تعـدت الخصوصية لتصيـب فاعـل الظلـم وغيـره، يـدرك خطـورة عدم الاستجابة لأمر اللّه ورسوله رهبة في الناس.

وذلـك إذا ظهـر الظلم فلم يغير فـإن عقوبته تعم الفاعـل وغيره, ويكـون اتقاء هذه الفتنـة بالنهي عن المنكـر وقمع أهل الشـر والفسـاد, وأن لا يـُمكّنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن [1].

ومـن الرهبة: الخوف مـن الناس ومـن نقدهم في مخالفة عوائدهم المحرمة, واللّه تعالى يقول:

﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [2].

ومـن الرهبـة: تخويـف المرأة مـن ارتـداء الحجاب الشرعي الساتر لجميع بدنها, بما في ذلك غطاء الوجه, استجابة لأمر اللّه تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [3].

وأن ذلـك مما يلحق بهـا الضرر, وأنـه يضيق عليها فرص التعليم والعمل.

١- تفسير السعدي ص ٣١٨

٢-سورة التوبة : ١٣

٣- الأحزاب: ٢٨.

أمثلة لمواطن الرغبة :

وأما الرغبة: فمنها فتنة الأموال وأنواع المكاسب المادية, فقد يمر على الإنسان عروض الربح الميسّر, والاستثمار المضاعف, من طرق محرمة أو أوجه مشبوهة. فما يمنع المؤمن إلا إيمانه بالتثبت حيالها والاستجابة لأمر اللّه فيها, في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

ومن الرغبة: تلك الميول البشرية بين الرجل والمرأة، فقد جاءت الشريعة بتنظيمها، وتأطيرها في حدود ما يشبعها على وجه تحصل به المنافع وتندفع به المضار, فحرم اللّه الزنا وشرع الزواج.

وقد ابتلينا في زمننا هذا بفتنة عظيمة كاشفة جارفة, ألا وهي فتنة اختلاط النساء بالرجال, وتساهلهم في هذا الباب باسم القرابة أو الصداقة أو زمالة العمل والتعليم.

فهاهنا يتميز أهل الاستجابة واليقين الراسخ من الرجال والنساء, ممن يخافون أن يُحشروا إلى ربهم

١- البقره : ٢٧٨

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع, الذين يخشون ربهم بالغيب ويخافون سوء الحساب, إنهم المستجيبون المخلصون كما أخبر اللّه عن قدوتهم النبي يوسف عليه السلام بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[1] .

استجابة لأمر اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[2] .

ومن الرغبة: عندما تكثر الدعايات المضللة، وينادي أرباب الشهوات إلى غيهم وباطلهم, بطرق ووسائل مهيجة تجعل الحليم حيران من مرئيات وسمعيات وفضائيات بهدف ميل الناس عن جادة الصواب، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾[3].

ناهيك عن تلك الموضات والملبوسات المخزية التي لا يقبلها العقل السليم فضلاً عن الدين القويم.

١- يوسف :٢٤

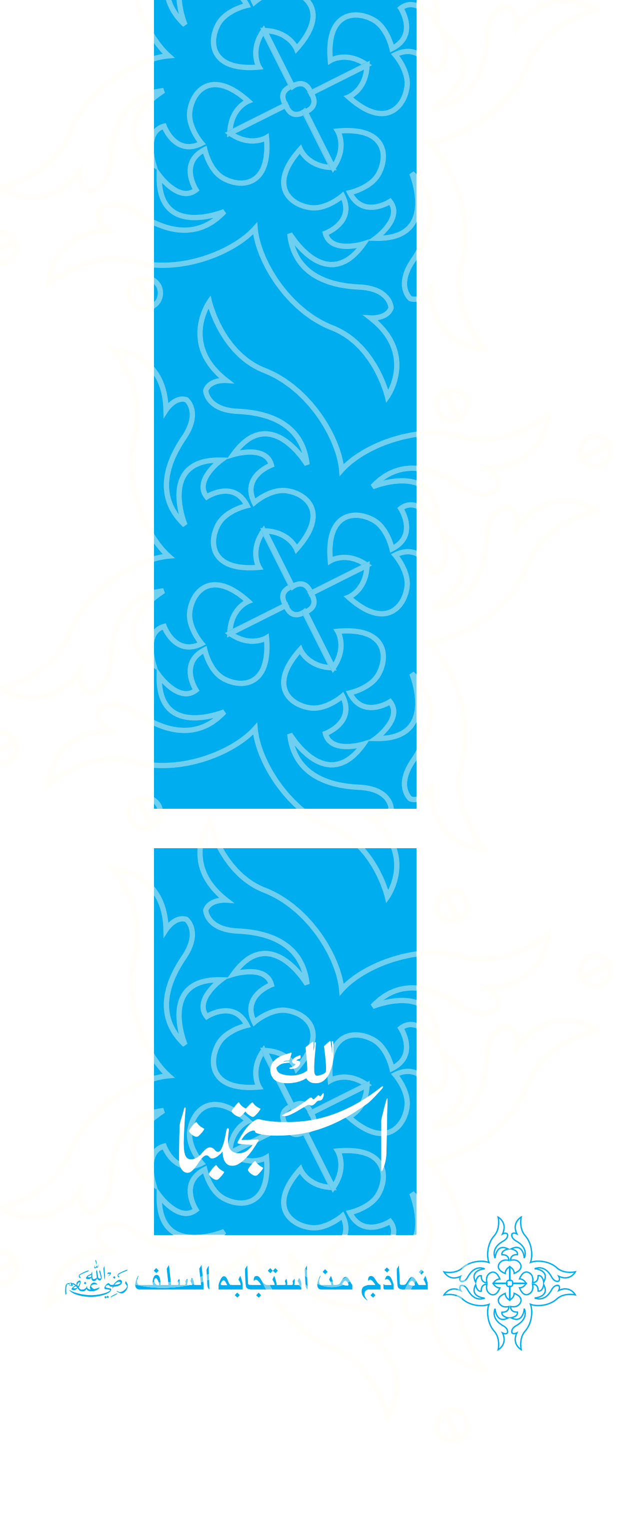
٢- الإسراء : ٣٢

٣- النساء :٢٧

حينها تقف استجابة المؤمن والمؤمنة على ميزان حساس, يعرف بها قوتها من ضعفها وتمكنها من خفتها. والمؤمن يحتاج إلى صبر دون تلك الرغبات فالصبر واليقين مدد المستجيبين, والخفة والطيش وصف المفتونين, قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

١- سورة الروم : ٦٠





نماذج من استجابه السلف رضي الله عنهم



نماذج من استجابة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم

الاستجابة للّه ولرسوله ﷺ وتربية النفس على ذلك من معالم العظمة، وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على رغباتها.

إن تعاليم الدين ومحاب اللّه ورســوله ﷺ لا يطيقها الذيــن ركنوا إلى الدنيا فضعفت نفوســهم، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله لم يستأجر له أطفالاً أو مرضى أو كسالى، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، والســواعد القويــة! كذلــك الدين لا يقوم بــه ويتمثل تعاليمه إلا رجال كبار النفوس، ونساء عظيمات.

وهاهنا بعض النماذج المشــرقة من مواقف الســلف الصالح في المســارعة للاستجابة لأمر اللّه ورسوله ﷺ وهــي غيض من فيض، وقطرات من بحر، والأمثلة في

ذلك أكثر من أن تُسَـطَّر أو تُحْصَرَ، ولكن اللبيب تكفيه الإشارة، رزقنا اللّه الاستجابة له سبحانه ولرسوله ﷺ .

سرعة استجابة الصحابة لما نزلت آيات تحريم الخمر :

كانت العرب في الجاهلية تشـرب الخمر كما يشـرب الناس الماء، وجاء اللّه بالإسـلام فأسـلم من أسلم من العرب، ولا زالوا على عادتهم من شرب الخمر.

فما الظنُّ بقوم يشربون الخمر منذ عشرات السنين، وأصبـح الخمر جزءاً من شـرابهم اليومـي الذي ألفوه, لقـد بلغ الإدمان بهؤلاء مبلغه، فهل يسـتجيبون لحكم تحريم الخمر إذا جاءهم؟

فلنتـرك أنس بـن مالك رحمـه اللّه يـروي لنا هذه القصة بقوله:

«كنت سـاقي القـوم وأنا صغير فـي دار أبي طلحة، وإذا بمنادي رسول اللّه ﷺ ينادي: ألا إنَّ اللّه ورسوله ﷺ قد حرّما الخمر».

فلنتخيل ذلك المجلس الذي اجتمع فيه رؤوس القوم يشربون الخمر:

- هل سيقولون نشرب هذه الكأس ثم نمتثل؟

- أم يقولــون نبتلع مــا في أفواهنا من الشــراب ثم نطبق أمر اللّه ونترك الخمر؟

- أم يقول من ملأ منهم المخازن: أُنهي ما قد صنعته من الخمر ثم أمتثل؟

ما كان موقفهم لمَّا ســمعوا قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[١].

إلا أن قالوا جميعاً : (انتهينا يا رب، انتهينا يا رب).

فأخــرج النــاس مــا عندهــم مــن جــرار الخمر وأراقوها في سكك وطرقات المدينة.

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «فأصبحت المدينة ثلاثة أيام ليس لها رائحة إلاّ الخمر»[٢].

كم من المسـلمين اليوم من يسمع حكماً للّه تعالى فــي أمر يفعله أنَّه محرم، فمــن يفعل كفعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ويقول كما قالوا: "انتهينا يا رب، انتهينا يا رب"؟.

١- المائدة: ٩٠، ٩١.

٢- أصله عند البخاري برقم (٤٢٥٤) ، ومسلم برقم (٣٦٦٢) .

 استجابة صديق الأمة وخليفة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لقد كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تصديقاً لكتاب اللّه، وإيماناً بالتنزيل، ومن أسرعهم استجابة للّه ورسوله ﷺ والنماذج من حياته كثيرة:

فمن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنهم في حديث الإفك الطويل بقوله:

"فلما أنزل اللّه براءتي، قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره- : واللّه لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة رضي اللّه عنهم ما قال، فأنزل اللّه:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1].

قال أبو بكر رضي اللّه عنهم : بلى واللّه إني أحب أن يغفر اللّه لي.

فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: واللّه لا أنزعها منه أبداً [2].

١- النور: ٢٢.

٢- رواه البخاري (٣٠٩/٨) حديث رقم (٤٧٥٠).

فانظـــر كيف أن مســـطح بن أثاثـــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاض مع مـــن خاض في عِرْضِ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومع ذلك ما إن نزلت الآية، حتى اســـتجاب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأمر اللّه وأعاد النفقـــة التي كان ينفق على مســـطح؛ لأن هدفهم هو رضوان اللّه تعالى والجنة .

استجابة فاروق الأمة الخليفة العادل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما أدراك ما عمر، عمر فاروق هذه الأمة، أول من لقب بأمير المؤمنين، الخليفة العادل، الذكـــي العبقري، المُحَدَّثُ الملهم، عمـــر الذي وافق ربه فـــي مواضع كثيرة، وكان ينزل القـــرآن مؤيداً لرأيه، وما ســـلك فجاً إلا سلك الشـــيطان فجاً غير فجه، أعز اللّه به الإسلام، وتوفي رسول اللّه ﷺ وهو عنه راض، والباب الحائل دون الفتنة، والوقاف عند حدود اللّه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:» قدم عيينة بن حصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس رحمة اللّه ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه :يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه.

قال: سأستأذن لك عليه .

قــال ابن عبــاس :فاســتأذن الحـُرُّ لعيينــة ، فأذن له عمر، فلما دخل عليــه قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل.

فغضب عمر حتى همّ به.

فقــال لــه الحرُّ: يــا أميــر المؤمنيــن، إن الله تعالى قــال لنبيــه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[1]، وإن هذا من الجاهلين.

والله مــا جاوزها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين تلاهــا، وكان وقافاً عند حدود الله"[2] .



استجابة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال رسول الله ﷺ يوم خيبر:

«لأعطيــن الراية غداً رجلاً يحب الله ورســوله، يفتح الله على يديه»

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعطاها إيــاه وقال: «امــش ولا تلتفت حتى يفتــح الله عليك».

فســار علي شــيئاً ثــم وقف ولــم يلتفت فصــرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟

١- الأعراف: ١٩٩.

٢- رواه البخاري (١٥٥/٨) حديث رقم (٤٦٤٢) .

قـال ﷺ قاتلهم حتى يشـهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسـول اللّه، فإذا فعلوا ذلـك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه» [1].

فانظر أيها المسلم كيف طبق علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمـر الرسـول لما قال لـه: «ولا تلتفت»، فلمـا ناداه لم يتلفت وأجابه.

استجابة عبدالله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عُرِف عبداللّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشـدة اتباعه للسـنة، ومبادرتـه لامتثـال أي أمـر يبلغه، فـكان -على خطى أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقافاً عند حدود اللّه ومسـتجيباً دون تلكؤ أو تباطؤ، وإليك بعض الأمثلة:

١- عن عبد اللّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سـمع رسـول اللّه ﷺ قـال: «مـا حق امرئ مسـلم له شـيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة» .

قـال عبداللّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "ما مـرت علي ليلة منذ سمعت رسول اللّه ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي" [2].

١- أخرجه مسلم (٧/ ١٢١).

٢- أخرجه مسلم (٣/ ١٢٤٩).

٢ - استجابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[١]. قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « :وممن عمل بالآية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فروى البزار من طريقه أنه قرأها - يعني ابن عمر - قال: "فلم أجد شيئاً أحب إليّ من مرجانة - جارية لي رومية - فقلت: هي حرة لوجه اللّه ، فلولا أني لا أعود في شيء جعلته للّه لتزوجتها"، كما أعتق ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا نافعاً مولاه، وكان أعطاه فيه عبداللّه بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألف دينار، قالت صفية بنت أبي عبيدة: «أظنه تأول قول اللّه عز وجل :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢].

٣- وأخرج أبو نعيم في الحلية عن نافع قال: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرّبه لربه .

قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمَّر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تلك الحالة الحسنة أعتقه.

فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن واللّه ما بهم إلا أن يخدعوك فقال ابن عمر: "فمن خدعنا باللّه عز وجل انخدعنا له"[٣].

١- آل عمران: ٩٢.

٢- آل عمران: ٩٢.

٣ - حياة الصحابة (٢/ ٢٨٥).

٤- عــن عبد اللّه بــن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قــال: بينما نحن مع رسول اللّه ﷺ إذ قال رجل من القوم: اللّه أكبر كبيراً، والحمد للّه كثيراً وسبحان اللّه بكرة وأصيلاً.

فقال رسول اللّه ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا»؟

قال رجل من القوم: أنا يا رسول اللّه.

قال ﷺ : «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء».

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « فما تركتها منذ سـمعت رسول اللّه يقول ذلك".

استجابة عبدالله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حينما دخل عبداللّه بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسـجد والنبي ﷺ يخطب، فسـمعه يقول: «اجلسوا». فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «زادك اللّه حرصاً على طواعية اللّه ورسوله»[١].

فبمجرد أن سمع الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر بالجلوس وهو لم يعلم من المقصود جلس قبل أن يدخل المسجد.

١- سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٢)، وأورده الحافظ في « الإصابة » ٧٨/٦، وقال: أخرجه البيهقي بسـند صحيح إلى عائشـة، وله سـند آخر مرسل، والمرسل أصح سندا، ونسبه صاحب « الكنز » (٣٧١٧٣) إلى ابن عساكر.

استجابة زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جاء زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفرس له يقال لها شبِلة، لم يكن له مال أحبّ إليه منها، فقال: هي صدقة.

فقبلها رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحمل عليها ابنه أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرأى رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في وجه زيد فقال: «إِن اللّه قد قبلها منك»[1].

استجابة جُلَيْبِيْب والفتاة المؤمنة رضي الله عنهما

عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لا يزوجها حتى يعلم هل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها حاجة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل من الأنصار: «زوجني ابنتك».

ففرح الرجل وقال: (نعم، وكرامة يا رسول اللّه، ونعمة عين) والرجل يظن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطبها لنفسه.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لست أريدها لنفسي».

قال الرجل: فلمن يا رسول اللّه ؟

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لجليبيب».

١- رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٢٠٤) عن محمد بن المنكدر، ورواه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩٢) عن عمرو بن دينار، وهو مرسل كما قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» : (١/ ١٩٤) ورواه عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره (١/ ٩٠) عن أيوب، و عن عبدالرزاق، وهو معضل كما قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف»: (١/ ١٩٤)

من هو جليبيب ﷺ ؟

هــو رجل من عامة المســلمين فقير دميم، ليس له قبيلة ذات منعة وقـوة.

فقال الرجل: يا رسول اللّه أشاور أمها.

فأتى الرجل زوجته فقال: رسول اللّه ﷺ يخطب ابنتك.

فقالت: نعم ونعمة عين.

فقال: إنه لا يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب.

فقالت المرأة: لا، لعمر اللّه لا نزوجه.

فلمـا أراد الرجــل أن يقــوم ليأتــي رســول اللّه ﷺ فيخبره بما قالت, سمعت البنت مقالة أبيها ورد أمها.

فقالت: من خطبني إليكم؟

فأخبرتها أمها.

قالت البنت الصالحة: (أتردون على رسول اللّه ﷺ أمره؟ ادفعونــي إليــه فإنَّه لــن يضيعنــي) – أي: ادفعوني إلــى النبيأ فإنَّه لن يختار لي إلا رجــلاً صالحاً- فانطلق أبوها إلى رسول اللّه ﷺ فقال: «شأنك بها»، فزوجها جليبيباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فتزوجها جليبيب, وعندما سمع جليبيب عن نية رسول اللّه ﷺ في الخروج إلى الغزو وخرج معه استجابة لأمر اللّه ورسوله بالجهاد في سبيل اللّه.

وبعد أن انتهت المعركة، قال النبي ﷺ لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

قال ﷺ : «انظروا هل تفقدون من أحد؟»

قالوا: لا.

فقال ﷺ : «ولكني أفقد جليبيباً فاطلبوه في القتلى» .

فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتاه رسول اللّه ﷺ فقام عليه فقال: «قتل سبعة وقتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه» ثم وضعه رسول اللّه ﷺ على ساعديه، وحُفر له، ماله سرير إلا ساعد النبي ﷺ ، ثم وضعه في قبره ولم يُذكر أنه غُسّل [١].

فهذا الرجل دعاه حب اللّه ورسوله واستجابته لداعي الجهاد, إلى أن يبذل نفسه في سبيل اللّه، فكانت له

١- أصله عند مسلم برقم (٢٤٧٢) .

الشهادة من رسول اللّه ﷺ بهذه الكلمة: « هذا مني وأنا منه ». وأما تلك الفتاة الصالحة، فعندما رأى النبي ﷺ سرعة استجابتها لأمره دعا لها فقال: «اللهم صُبَّ عليها الرزق صباً، ولا تجعل عيشها كدّا»[١] والمعنى: اللهم ابسط عليها الرزق ووسع لها فيه ولا تجعلها تتعب في طلبه.

قال أنس رضي الله عنه: فما كان من الأنصار أيمٌ أكثر نفقة منها.

هكذا فلتكن استجابة المؤمنين، فلم يردّها عن امتثال أمر رسول اللّه ﷺ رغبة في شيء من زخرف الدنيا الزائل، وإنما اختارت طاعة رسول اللّه ﷺ وقدمتها على رغبات نفسها، فرضي اللّه عنها وأرضاها.

استجابة معقل بن يسار رضي الله عنه :

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

١- رواه ابن حبان في صحيحه (٣٤٣/٩) برقم (٤٠٣٥) عن أبي برزة الأسلمي، وقال محققه شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح).

٢- البقرة: ٢٣٢..

عن معقل بن يسـار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هذه الآيـة نزلت فيه، قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتهـا جـاء يخطبهـا، فقلت لـه: "زوجتك وأفرشـتك وأكرمتـك فطلقتها ثم جئت تخطبهـا، لا واللّه لا تعود إليك أبـداً"، وكان رجلاً لا بأس بـه، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل اللّه هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

فقلت: "الآن أفعل يا رسول اللّه"!، قال: فزوجتها إياه.

وفي رواية أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها فزوجتها إياه"[1].

استجابة جابر بن سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حيث قال لرسول اللّه ﷺ : اعهد إلي.

قال ﷺ : «لا تسبن ّ أحداً».

قال جابر: فما سـببت بَعْدُ حـراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة[2].

فتأمل حاله رضي اللّه عنه كيف استجاب لعهد نبيه ﷺ ، بل إنه تجاوز الناس إلى عدم سـب أي أحد حتى الحيوانات

١- رواه البخاري (٨٩/٩)، حديث (٥١٣٠).

٢- أخرجه أبو داود (٤/ ٩٨)، وصححه الألباني، وأخرجه البيهقي في السـنن الكبرى (١٠/ ٢٣٦).

والجمـادات، وذلك لأن لفظ "أحد" نكـرة جاء في صياغ النهـي وقـد تقـرر أن النكـرة في صيـاغ النهـي تفيد العموم، وهذا من فقهه رضي اللّه عنه.,

استجابة رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رأى النبي ﷺ خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه وطرحه، فقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده».

فقيل للرجل بعدما ذهب رسـول اللّه ﷺ : خذ خاتمك فانتفع به.

قال: لا واللّه لا آخذه أبداً؛ وقد طرحه رسول اللّه ﷺ [1].

وما كان طلب الصحابة منه أن يأخذ الخاتم خروجاً عن حكمه ﷺ ، ولكنهم فهموا أن النهي عن اللبس للرجال وليس النهي عن الانتفاع بقيمته، ولكن الرجل –لكمال استجابته- أبت نفسه عليه أن يأخذه وقد طرحه ﷺ .

استجابة الربيع بن خيثم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

روي عن الثوري رحمه اللّه أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خيثم قالت : كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة

١- صحيـح ابـن حبان بتحقيق الأرنؤوط (١/ ١٩٢). قال شـعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح.

أعطي السائل سكراً؛ فإن الربيع يحب السكر، قال سفيان: يتأول قوله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

استجابة عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتري أعدالاً [1] من السكر ويتصدق بها؛ فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟

فقال: لأن السكر أحب إليّ فأردت أن أنفق مما أحب.

وقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون" [2].

١- جمع (عِدل)، والعِدْل: نِصْفُ الحِمْل يكون على أحد جنبي البعير.
٢- تفسير القرطبي (١٢٨/٤).


استجبنا له
نماذج من استجابة المعاصرين



نماذج من استجابة المعاصرين

ولا يـزال فـي أمة محمـد ﷺ -أفـراداً وجماعات- من يضربـون أروع الأمثلـة فـي اسـتجابتهم للّه تعالـى وللرسـول ﷺ ، مـع مـا يجدونـه مـن الابتـلاءات ومـا يعترضهم من الصوارف والفتن.

وتبقـى هـذه الخيرية في أمـة الاسـتجابة إلى آخر الزمـان كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال, قال رسـول اللّه ﷺ : «مثـل أمتـي مثل المطـر لا يُدرى أوله خير أم آخره» [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه :

"وأما قوله «أمتي كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره» .. فمعنـاه أن فـي المتأخريـن مـن يشـبه المتقدمين

١- سـنن الترمذي برقم ٢٨٦٩ , حسنه الألباني وقال: حسن صحيح وحسنه شعيب الأرناؤوط.

ويقاربهم حتى يبقى لقوة المشابهة والمقارنة, لا يدرى الذي ينظر إليه أهذا خير أم هذا وإن كان أحدهما في نفس الأمر خيرا, فهذا فيه بشرى للمتأخرين بأن فيهم من يقارب السابقين "[1].

وقد تميزت بعض المواقف المعاصرة بسرعة استجابة أصحابها مع قوة العوائق أو العلائق فيما أمروا به أو نهوا عنه. ومن أمثلة ذلك:

حسن إسلامها بعد فهمها للقرآن

جاءت إلينا خادمة كافرة، وبعد قرابة الشهر أسلمت وحسن إسلامها، وأهدينا لها مصحفا مزوداً بتفسير الآي، وبعد أشهر حصل لها ظرف طارئ يستلزم عودتها لبلدها؛ لكنها جاءت إلي وقالت: لم يمنعني من الذهاب لبلدي إلا آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[2]، وآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾[3].
وقالت: أنا عقدي معكم سنتين، ولم ينته بعد!

فدهشت مما قالت، وعجبت لسرعة استجابتها لكلام اللّه وفهمها له!

١- مجموع الفتاوى (١١ | ٣٧١).
٢- المائدة: ١.
٣- الرعد: ٢٠.

ورأفـت لحالي وحال غيري من المسـلمين، ممن ولد في كنف الإسلام، ولم يحسن بعد تطبيق تعاليمه[1].

سمعت وأطعت

بعـد أن ألقيـت محاضـرة فـي إحـدى الملتقيـات الدعوية, أقبلت إلي فتاة تسـألني عـن الحكم الفقهي في عدة مسـائل تتعلق بحفل عرسـها, فكانت تسـأل عن المسـألة, وعندمـا أجيبها بالحكـم تعقد إصبعها وتقول: (سـمعتُ وأطعـتُ), ثم تنتقل إلى المسـألة التالية, وتسـأل فأجيبها, فتعقد إصبعها الأخرى, وهي تقول: (سـمعتُ وأطعتُ), وهكذا صنعَتْ حتى انتهتْ من أسـئلتها, فتعجبتُ من أمرها واسـتجابتها بقولها: (سمعتُ وأطعتُ), ودعوتُ لها بخير.

استجابة في بيت الله الحرام

كنت أصلي في المسجد الحرام وكانت بجانبي امرأة من إحدى الـدول العربية, تلبس خاتما فيه عيناً زرقاء, وهذه العين اعتاد بعض الناس لبسـها بنية دفع العين

١- رسالة من مشترك في جوال (تدبر).

والحسد, وهي صورة من صور الشرك, وبعد الانتهاء من الصلاة ألقيت عليها السلام, وسألتها عن هذا الخاتم, فأخبرتني أنها رأته على صديقتها فأعجبها فأهدته لها, فلما أخبرتها أن بعض الناس يلبسه بقصد دفع العين, أكدت أن ذلك صحيح, لكنها لا تلبسه بهذه النية, وإنما أعجبها فقط.

فبينت لها أن هذا الخاتم وسيلة من وسائل الشرك, وأن الوسائل لها أحكام المقاصد, وهي وإن كانت لا تعتقد أنه مؤثر إلا أنه لا يجوز لبسه حتى لا تتشبه بالمعتقدين به, فما كان منها إلا أن سارعت إلى نزع الخاتم من يدها وهي تستغفر.

وتقول: واللّه إني لا أعلم بذلك, فتذكرت تلك المرأة التي أتت إلى النبي ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها النبي ﷺ : «أتعطين زكاة هذا؟»، قالت: لا، قال: «أيسرك أن يسورك اللّه بهما يوم القيامة سوارين من نار»، قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما للّه ورسوله [1].

١- أخرجه أبو داود (٢/ ٤)، وحسنه الألباني.

رأيتها بعد خمس وعشرين سنة

كنتُ في العشرينَ من عُمُرِي يومَ تقدمَ لي الشاب الذي أحلم به: طالبُ علمٍ عليه سِيْمَا الصلاحِ والاستقامةِ.

ووافقتُ وقتها بعد استخارة واستشارة دون تقصٍّ واضح لأمور أخرى قد تَهُمُّ الناس عادة، ومضت الأيام وأنا أعيش فترة الخِطبة في ظل حلمٍ جميلٍ بالحياة في بيت طالب علم، إلى أن اقترب موعد الزواج.

وتسامع الناس بالخبر في بلدتي الصغيرة، فتتابعت التحذيرات من الارتباط بجادٍّ متزمِّتٍ بعيد عن مباهج الحياة!.

اضطربتُ وحِرْتُ بين الثباتِ على المبدأ وتكملة المشوار، وبين الاستسلام والتراجعِ، ومضتِ الأيام وأنا بين الحيرة والقلق والدموع، إلى أن شاء اللّه عز وجل، وفي لحظة لا أنساها بعد صلاة الفجر جلستُ أنتظرُ الإشراق، وأخذت المصحف وتلوت من سورة آل عمران، حتى توقفت فيها على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ

ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾[1]،

ولم أكن أعرف تفسيرها في ذلك الوقت ولا فيمن نزلت، ولكني شعرت أنها تخاطبني، فكررتها مرات أتدبرها، وبعدها اتخذتُ قراري بالاستمرار في ترتيبات الزواج وأنا أردد: حسبي اللّه ونعم الوكيل.

واليوم؛ وبعد مُضِيٍّ خمسةٍ وعشرينَ عاماً على زواجي؛ أرى تتمةَ الآيةِ في حياتي: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾[2] [3].

قال لي : ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ فاستجبت

في مكتب الدعوة بشمال الرياض جاء كولومبي مستفسراً عن الإسلام، وبعد حوارات وقراءات مختلفة، أشهر إسلامه، وعندما سُئل عن السبب، قال: «قرأت في ترجمة معاني القرآن الكريم التي أهدانيها صديق لي، تكرار كلمة ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ . فكثير من الأوامر إذا وجهها

١- آل عمران: ١٧٣.

٢- آل عمران: ١٧٤.

٣- هكذا عاشوا مع القرآن للمؤلفة ص ١٠٨ .

يســبقها بهذه الكلمة، وهذا استوقفني كثيراً، ولمست منــه جانب الشــفقة علي، والرحمة بــي، فمعظم قادة وملوك ومسؤولي ومديري القطاعات ينادونك بفوقية، وهو مــع كـونــه ملك الكل المســتغني عني يناديني ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾، ومن هذه حاله فهو إله عظيم، لابد أن أستجيب لندائه"




استجبنا لك


خطورة الإعراض وسوء عاقبة المخالفين





خطورة الإعراض وسوء عاقبة المخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ

حذر اللّه ﷻ من العاقبة السيئة التي تنتظر من أعرض عن دينه وخالف أمره, إنه في الحقيقة لا يخسر إلا نفسه, ولن يضر اللّه شيئاً فدين اللّه قائم والطريق سالكة؛ لذا عندما رغب بعض المسلمين البقاء في المدينة وعدم الخروج لتبوك للغزو مع رسول اللّه ﷺ, أنزل اللّه عزوجل: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[1].

إن ترك الاستجابة للّه ورسوله ضلال مبين يستلزم عاقبة السوء في الدنيا والآخرة, قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

١- التوبة: ٤٠.

٢- القصص: ٥٠.

٣- الأحقاف: ٣٢.

أي أن هؤلاء المعرضين ضالون ضلالاً بيناً عن الصراط المستقيم.

وقد وصفهم اللّه عز وجل أنهم شـرار خلقه , فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [1], وضرب لهم أسـوأ الأمثلة, فقال تعالـى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [2].

قال ابن القيم رحمه الله :

"شـبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسـد أو الرماة ففرت منه. وهذا غاية الذم لهؤلاء فإنهـم نفروا عن الهدى الذي فيه سـعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها (المسـتنفرة) كأنها تواصت بالنفور وتواطأت عليه»[3].

وأمـر خطير آخـر, ألا وهو أن التردد في الاسـتجابة والتأخـر عنهـا فضلاً عـن تركها ومخالفتهـا من دلائل

١- الأنفال: ٢٢.

٢- المدثر: ٤٩-٥١.

٣- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ١/ ١٦٤ ، وانظر: الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم أيضا ص ٢٦ .

النفاق البينة, وسبق أن ذكرنا أن الفرق بين المؤمن والمنافق سرعة الاستجابة والإعراض عنها، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[1].

وقد حذر المولى من مقاربة أمثال أولئك المعرضين ونهى عن صحبتهم ومجاراتهم لكثرة شرورهم وخطورتهم على عقيدة الإنسان ودينه, قال اللّه تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[2], وقال محذراً منهم: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[3].

١- النور:٤٧-٥٢.
٢- الكهف: ٢٨.
٣- النجم: ٢٩.

كل ذلـك لأن عاقبـة العصيـان والمخالفـة وخيمـة ونهاياتهـا أليمـة, وإلا فمـا الـذي أفسـد علـى الناس حياتهـم, ونغـص عليهم ملذاتهم, وفـرق جماعاتهم، إنهـا المعاصـي والتجرؤ علـى الذنـوب, قـال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [1].

والمتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يجد الكثير من العقوبات الدنيوية والأخروية التي توعد اللّه بها المعرضين والمخالفين لأمر اللّه ورسوله ﷺ .

■ عقوبة الإعراض في الدنيا :

١ـ الوقوع في الفتنة :

قـال للّه تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2].

١- العنكبوت: ٤٠.

٢- النور: ٦٣.

قال الإمام الحافظ بن كثير رحمه اللّه في تفسيره لهذه الآية:

«أي: فليحذر وليخش من مخالفة شريعة الرسول باطناً وظاهراً، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر، أو نفاق، أو بدعة، (أو يصيبهم عذاب أليم) في الدنيا بقتل، أوحد، أو حبس، أو نحو ذلك»[1].

والفتنة كما قال الإمام أحمد رحمة اللّه :

«أتدري ما الفتنة، الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول الرسول ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»[2] .

قال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان:

«في هذا الوعيد ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ فتنة في القلوب بأن يصرف اللّه قلوبهم ويصيبهم بالزيغ والضلال لأنهم ردوا حديث رسول اللّه ﷺ ، وردوا أمر رسول اللّه ﷺ تبعا لرغباتهم وأهوائهم. فمن بلغه الحق عن اللّه ورسوله ﷺ ثم أعرض عنه تبعاً لهواه وشهوته ورغبته أو إرضاء لأحد من الناس فإنه يصاب بالزيغ، كما قال اللّه : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٩٠ .

٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٣/٥٥ وانظر بمعناه في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة ١/٢٦٩ .

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[1].

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2]، وقوله: فلما زاغوا: يعني أعرضوا عن الحق ، أزاغ اللّه قلوبهم، بمعنى أن اللّه صرفها عن قبول الحق فلا تقبل الحق بعد ذلك»[3].

٢- تقليب القلب والتثبيط عن العمل الصالح :

إن أعظم عقوبة تصيب من خالف أمر اللّه وأمر رسوله، وأصر على المعاصي والمنكرات، أن يحال بينه وبين الإيمان الصحيح، وبينه وبين التوبة والعمل الصالح, فلا يزال على الذنب مستمرئاً له، مجادلاً فيه، حتى يموت عليه، ويبتلى بسوء الخاتمة .

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[4].

١- التوبة :١٢٧.

٢- الصف: ٥.

٣- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد ١٩٦/٣ .

٤- الأنفال: ٢٤.

قال ابن القيم رحمة اللّه :

«أنكم إذا تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول اللّه بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته، فيكون قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

ففي الآية تحذير من ترك الاستجابة بالقلب وإن استجابت الجوارح».

فاللّه اللّه في المسارعة للاستجابة للحق إذا بلغك، والحذر من التردد والتباطؤ.

وتأمل في قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

) حذارى حذارى من أمرين لهما عواقب سوء:

- رد الحق لمخالفة الهوى؛ فإنك تعاقب بتقليب القلب ورد ما يرد عليك من الحق رأسا.

- التهاون بالأمر إذا حضر وقته؛ فإنك تعاقب بالتثبيط والإقعاد والكسل.

١- الصف: ٥.

٢- الأعراف: ١٠١.

فمن سلم من هاتين الآفتين، فلتهنه السلامة)[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾[2].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[3].

ومن تثبيط اللّه للمعرضين تثبيطه للمنافقين عن الخروج للجهاد عندما أعرضوا عن الاستجابة لأمر اللّه ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾[4].

وهنا "يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأما هؤلاء المنافقون

١- بدائع الفوائد ص ٦٥

٢- الكهف: ٥٧.

٣- التوبة: ١٢٧.

٤- التوبة: ٤٦.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ معكم في الخروج للغزو ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ قدراً وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ من النساء والمعذورين"[1].

٣- الابتلاء بالضيق والمعيشة الضنك :

يعتري قلب المعرض ظلمة وضيق كأن على صدره ثقل عظيم, فهو يتأفف من غير مؤفف ويتضجر من غير مضجر.

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[2].

١- تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، ص ٣٣٩.

٢- طه:١٢٤-١٢٦.

قال الشيخ ابن باز رحمه اللّه :

"هــذا وعيد شــديد لمــن أعرض عن ذكــر اللّه وعن طاعته فلم يؤد حق اللّه، هذا جزاؤه، تكون له معيشــة ضنــكا وإن كان فــي مال كثير وســعة لكــن يجعل في عيشــته ضنكاً، لما يقــع في قلبه مــن الضيق والحرج والمشــقة فلا ينفعه وجــود المال، يكون في حرج وفي مشــقة بســبب إعراضه عن ذكر اللّه وعــن طاعة اللّه عز وجل ، ثم يحشــر يوم القيامة أعمى. فالمقصود أن هــذا فيمن أعرض عن طاعــة اللّه وعن حقه عز وجل، ولــم يبالِ بأمر اللّه بل ارتكب محارمه وترك طاعته عز وجل، فهذا جزاؤه، نسأل اللّه العافية»[1].

لذا نجد كل بعيد عن اللّه يلتمس كل وســيلة ليلهي نفســه ويســليها, ولكنهــا لحظــات لذة عابرة ســرعان ما يعاوده الضيق والألم النفســي, وتضــج روحه طلبا للإخبات إلى ربها والإنابة إلى باريها.

٤- الحرمان من إجابة الدعاء :

قــد ذكرنا ســابقاً أن من ثمرات اســتجابة العبد لربه

١- لشيخ ابن باز نور على الدرب، انظر: http://www.binbaz.org.sa/

أن يستجيب اللّه دعاءه, كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[١].

قال البغوي: أي ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني[٢].

وقال الشوكاني: وقوله : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى ﴾ أي كما أجبتهم إذا دعوني فليستجيبوا لي فيما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعات وقيل معناه: أنهم يطلبون إجابة اللّه سبحانه لدعائهم باستجابتهم له: أي القيام بما أمرهم به والترك لما نهاهم عنه[٣].

وعلى ذلك فإن المعاصي والمخالفات قد تكون سببا في حرمان العبد من إجابة دعائه.

وقد ورد في جزاء من لم يستجب لأمر اللّه في الأكل من الطيبات من الرزق واجتناب المحرمات, قوله ﷺ : قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٤].

١- البقرة: ١٨٦.

٢- .تفسير البغوي ١/ ٢٠٥

٣- فتح القدير ١/ ٢٨٤

- البقرة: ١٧٢.

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله في شرح الحديث :

يعني ضرب النبي ﷺ مثلاً لهذا الرجل: "يُطِيْلُ السَّفَرَ" والسفر من أسباب إجابة الدعاء، ولاسيما إذا أطاله. "أَشْعَثَ أَغْبَرَ" ..أي أنه لا يهتم بنفسه بل أهم شيء عنده الدعاء. "يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ" ومد اليدين إلى السماء من أسباب إجابة الدعاء،.."يَا رَبّ يَا رَبّ" نداء بوصف الربوبية،لأن ذلك وسيلة لإجابة الدعاء "ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ" .."وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ"، "وغُذِيَ بالحَرَامِ" . فَأَنَّى .. والمراد به الاستبعاد، يعني يبعد أن يستجاب لهذا، مع أن أسباب الإجابة موجودة. وهذا للتحذير من أكل الحرام، وشربه، ولبسه، والتغذّي به "[2].

٥- حرمان المعرضين من ولاية الله وتخليه عنهم :

قال اللّه تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

١-رواه مسلم برقم ١٠١٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، شرح الحديث العاشر ٣/١٦

٣- الأحقاف: ٣١-٣٢.

قال السعدي رحمة الله: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب ولا يغالبه مغالب، ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟"[1].

٦- الابتلاء بالمصائب والعقوبات العامة:

إن المتأمل في واقع الأمة الإسلامية اليوم بأفرادها ومجتمعاتها، ليدرك أن ما أصابهم من ذل وانقسام وفتن وفُرقة وأزمات، إنما مرده إلى إهمال أمر الله، والتقصير في تحكيم شرعه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "كنتُ عاشرَ عشرةٍ رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله

١- - تفسير ابن سعدي، ص ٧٨٣.

٢- الشورى: ٣٠.

أن تُدركوهن، ما ظهرت الفاحشةُ في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتُلوا بالطواعينِ والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقصَ قومٌ المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدةِ المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائمُ لم يُمطروا، ولا خفر قومٌ العهد إلا سلط اللّه عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم يعمل أئمتهم بما أنزل اللّه في كتابه إلا جعل اللّه بأسهم بينهم"[1].

وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[3]».

١- رواه ابن ماجه ٤٠١٩ - ١٤٩/٥، والبيهقي بلفظ مقارب برقم ١٩٣٢٣ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ (يعني بريدة بن الحصيب) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/١٠٥ برقم ١٠٦.

٢- النحل: ١١٢.

٣- الإسراء: ١٦.

والمتأمل في آية الأمر بالاستجابة لأمر اللّه والرسول في ســورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.[1] يـرى في الآيــة وعيد بالعقوبة لمــن ترك الاســتجابة لأمــر اللّه ورســوله, ولمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن سعدي: بل تصيب فاعل الظلم وغيره وذلك إذا ظهــر الظلــم فلم يغيّر فــإن عقوبته تعــمّ الفاعل وغيــره, ويكون اتقاء هــذه الفتنة بالنهــي عن المنكر وقمع أهل الشــر والفســاد, وأن لا يُمكّنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن [2].

إن الذين يرفضون الاســتجابة للّه والرسول ﷺ, هم يرفضون الحياة الكريمة اللائقة بالإنسان, فليس لهم إلا الدون ومصيرهم الشقاء والبوار, كما قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [3].

١- سورة الأنفال : ٢٤ - ٢٥
٢- تفسير السعدي ص ٣١٨
٣- إبراهيم: ٢٨.

■ عقوبة الإعراض في الآخرة :

لقد جاءت نصوص الوعيد في كتاب اللّه تعالي محذرة من ترك الاستجابة وتعمد المخالفة والإصرار على الذنب، ومن أشدها على النفس وأكثرها إيلاما للقلب، ذلك التهديد والوعيد بأنواع العذاب الأليم في الآخرة الذي لا يعرف قدره ومنتهاه إلا اللّه.

فعندما حدثنا القرآن عن بعض العقوبات الدنيوية للعاصين والمسرفين، نبه إلى عظم عقوبة الآخرة وبشاعة منقلبها، ومن ذلك ما أخبرنا اللّه تعالى عنه في سورة القلم, من قصة عقوبة أصحاب الجنة، إذ أصابتها نار فاحترقت, بسبب منعهم حق الفقير منها, فقال جل ذكره: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

وحسبنا في هذا المقام أن نقف متأملين ومتدبرين لبعض نصوص الوعيد في الكتاب الحكيم في سورة طه, فيما جاء فيها من عاقبة المعرضين والمخالفين يوم القيامة، مع وقفات من أقوال بعض أهل التفسير ، سائلين اللّه عز وجل بمنه ورحمته أن يجيرنا من

---

١ - القلم: ٣٣.

خـزي الدنيا وعـذاب الآخرة، وأن يوفقنـا لأن نكون من المستجيبين والمتبعين ابتغاء وجهه الكريم .

■ قال اللّه تعالـى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾[1].

قال ابن كثيررحمه اللّه في تفسير هذه الآية:

"هـذا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِـنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَهْلُ الْكِتَـابِ وغيرهـم، كما قـال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[2]، فَـكُلُّ مَـنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَهُو نَذِيرٌ لَهُ وَدَاعٍ، فَمَنِ اتَّبَعَهُ هُدِيَ وَمَنْ خَالَفَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، ضَلَّ وَشَقِيَ فِي الدُّنْيَا وَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، قَالَ تَعالَى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾

أَيْ كَذَّبَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِهِ أَمْرًا وَطَلَبًا، وَابْتَغَى الْهُدَى مِـنْ غَيْـرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّـهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى سَـوَاءِ الْجَحِيمِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾

أَيْ إِثْمًا كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[3].

١- طه: ٩٩-١٠١.

٢- الأنعام: ١٩.

٣- هود: ١٧.

وَهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلِهَذَا قَالَ:

﴿ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ ﴾ أَيْ لا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ وَلا انْفِكَاكَ ﴿ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴾ أَيْ بِئْسَ الْحِمْلُ حِمْلُهُمْ"[1].

وقال السعدي رحمه اللّه في تفسير هذه الآية:

﴿ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴾ وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ ﴾ أي: في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها ﴿ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴾ أي: بئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة[2].

■ قال اللّه تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾[3].

١- تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٤).

٢- تيسير الكريم المنان ص:٥١٢- ٥١٣

٣- طه: ١٢٤-١٢٥.

قال ابن القيّم رحمه اللّه في تفسير هذه الآية:

"أخبـر اللّه أنّ من أعرض عن ذكره وهو الهدى الّذي من اتّبعـه لا يضلّ ولا يشـقى بأنّ له معيشـة ضنكا، أي عـذاب القبر، وهذا عذاب البـرزخ، وكذلك يترك في العذاب وينسى فيه كما ترك العمل بالآيات، وهذا عذاب دار البوار، وله الضّنك والضّيق في الحياة الدّنيا كذلك، ومثلـه قوله تعالـى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]، فأخبـر سـبحانه في هذه الآية أنّ من ابتلاه بقرينه من الشّـياطين، وضلاله به، إنّما كان بسـبب إعراضه وعشوه عن ذكره الّذي أنزله على رسـوله، فكان عقوبة هـذا الإعراض أن قيّض له شـيطانا يقارنه فيصدّه عن سبيل ربّه وطريق فلاحه، وهو يحسـب أنّه مهتد. حتّى إذا وافـى ربّه يوم القيامة مـع قرينه، وعاين هلاكه وإفلاسـه قـال: ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾[2]".

١- الزخرف: ٣٦-٣٧.

٢- الزخرف: ٣٨.

وكلّ من أعـرض عن الاهتداء بالوحي الّذي هو ذكر اللّه فـلا بدّ أن يقول هذا يـوم القيامة، وهؤلاء لا عذر لهـم يوم القيامـة لأنّ ضلالهم منشـؤه الإعراض عن الوحـي الّذي جاء به الرّسـول ﷺ ، ولو ظـنّ أنّه مهتد فإنّه مفرّط بإعراضه عن اتّباع داعي الهدى، فإذا ضلّ فإنّما أتي من تفريطه وإعراضه"[1].

قال ابن كثير رحمه اللّه في تفسير هذه الآية:

"قَوْلُهُ: وَنَحْشُـرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ: لا حُجَّةَ لَهُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: عُمِّيَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ إلا جَهَنَّمَ، وَيُحْتَمَـلُ أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشـر إِلَى النَّارِ أَعْمَى الْبَصَـرِ وَالْبَصِيرَةِ أَيْضًا، كَمَا قَـالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[2]، وَلِهَـذَا يَقُولُ: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ أَيْ فِـي الدُّنْيَا قال كَذلِك أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِـيتَها، وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسـى، أَيْ لَمَّا أَعْرَضْـتَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَعَامَلْتَهَـا مُعَامَلَةَ مَنْ لَـمْ يَذْكُرْهَا بَعْدَ بَلاغِهَا إِلَيْكَ، تَنَاسَـيْتَهَا وأعرضت عنها"[3].

١- مفتاح دار السعادة ص (٤٢- ٤٤) بتصرف يسير.

٢- الإسراء: ٩٧.

٣- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٣/ ١٨٣٣-١٨٣٤).

وقال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

"﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذاباً".

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر، والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [1] الآية، والثالثة قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2]، والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[3]

١- الأنعام: ٩٣.

٢- السجدة: ٢١.

٣- غافر: ٤٦.

﴿وَنَحۡشُرُهُۥ﴾ أي: هـــذا المـعـرض عــن ذكـر ربــه ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ البـصــر علـى الصحيـح، كما قــال تعالــى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ﴾[1].

١- تيسير الكريم المنان ص:٥١٥- ٥١٦


لك استجبنا
طرق تقوية بواعث الاستجابة



طرق تقوية بواعث الاستجابة

لا شــك أن كل منا مستشــعر تقصيره في جانب من جوانب الاســتجابة للّه ورسوله ﷺ ، ويؤلمه ما يجد من نفسه من تكاسل وتراخ في بعض الأمر .

فمــا الطريــق إلي تحقيق الاســتجابة، تلــك المنزلة العاليــة من منــازل الإيمان، التي أثنــى اللّه على أهلها في كتابه ووعدهم بفضله ورحمته في الدنيا والآخرة. ولك أن تسأل أيها القارئ الكريم: هل يمكن أن أكون من الســابقين بالخيــرات، ومن المســارعين إلى فعل الطاعــات، وكيف أقوي بواعث الاســتجابة في نفســي، حتــى أســارع في أمر اللّه ورســوله ﷺ بــلا تباطؤ ولا حرج ولا تردد ؟ .

آن الأوان يــا صاحــب القلــب المؤمــن والنفــس الكبيرة، لاســتعراض أهــم المطالب العاليــة والطرق

الوافية،لتحصيل مقومات الاستجابة وتقوية بواعثها في النفس:

١- ابدأ من داخل نفسك بالرجوع إلى ربك معترفاً بتقصيرك، مستغفراً نادماً على ما أسرفت وفرطت, عاقداً العزم على السمع والطاعة ولزوم الاستجابة لله ورسوله ﷺ، فيما تحب وتكره في السر والعلانية, وتدبر واستجب لأمر ربك: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[1].

كن صادقاً مع الله في تحر الحق في جميع أمورك، مستعداً للاستجابة والامتثال، لتنال البشرى من الله: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[2].

٢- اهتم بتنمية الجانب الإيماني لديك، وذلك بترسيخ أركان الإيمان في قلبك بالعلم والعمل، ولأن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف، فإن بواعث الاستجابة

١- الزمر: ٥٤-٥٥.

٢- الزمر :١٧-١٨

في النفس تقوى بحسب قوة الإيمان وتضعف بضعفها، لـذا كانت تقوية الإيمان باللّه وتعظيمه في القلب، من أعظم الدوافع لقوة الاستجابة وسرعتها.

وإليـك أهـم طـرق تقويـة الإيمـان باللـه تعالـى وتعظيمه في القلب :

أ- تأمل في أسماء اللّه الحسنى وصفاته العلى.

ب-تفكر في الخلق والمخلوقات،وفي أمر الدنيا والآخرة.

أ- التأمل في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى :

إن تعلم أسماء اللّه وصفاته والاشتغال بمعرفتها من أعظم أسباب زيادة الإيمان وتقوية بواعث الاستجابة في القلب، ولا سـبيل إلى معرفة الرب سبحانه إلا بمعرفة أسـمائه ونعوته التي تعرف بها سبحانه إلى عباده من الكتاب والسـنة الصحيحة, وبحسـب معرفة العبد بربه تكـون محبتـه له وخضوعـه وطاعته وانقيـاده لأمره.

فأسـماء الـرب عـز وجـل ونعوتـه تثمر فـي القلب العبوديـة والخضـوع، إذ لـكل صفـة عبوديـة خاصة

يشـهدها القلب ثـم يظهـر مقتضاها علـى الجوارح.

فعلى سـبيل المثال: إذا علمت بأن اللّه سـميع بصير عليـم لا يخفـى عليـه مثقـال ذرة فـي السـموات ولا فـي الأرض، وأنـه يعلم السـر وأخفى، ويعلـم خائنة الأعين ومـا تخفي الصـدور، فإن هذا يثمـر لك حفظ اللسـان والجوارح وخطـرات القلب عن كل ما لا يرضي اللّه، وستشـغل هـذه الأعضاء بما يحبـه اللّه ويرضاه.

وبقـدر قـوه معرفـة اللّه واسـتمرارك تحصيلهـا, يتمكـن وقـار اللّه وعظمتـه فـي قلبـك, ممـا يبعـث إلـى تعظيـم حرماتـه والاستسـلام لحكمـه وأمـره ونهيه, وهذا التعظيم سـيحول بينـك وبين المعاصي والذنـوب, فـاللّه ا يعبد ويطاع ويحمـد ويجل لأنه أهل لذلـك ومسـتحقه. فمـن كانـت معرفته بـاللّه أكمل، كان من أقـوى الناس إيمانا وأحسـنهم إجلالاً ومراقبة للّه وأكثرهـم طاعـة وتقربا إليه وبعـداً عن معاصيه ومسـا خطـه, وكان من أشـد النـاس خشـية للّه, كما قـال تعالـى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [1].

قـال بشـر بـن الحـارث رحمـه اللّه : "لـو تفكـر

١- فاطر: ٢٨.

الناس في عظمة اللّه تعالى ما عصوه عز وجل"[1].

وهذا ما تميز به الصحابة الكرام, فهم يعظمون اللّه تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي أمره ونهيه, ولقد تخلل تعظيمه وحبه في أفئدتهم وامتثلته جوارحهم، فإذا هم يتحرون حكم اللّه ا في كل مسألة, ويجعلون حكم اللّه وشرعه هو الحاكم عليهم في كل صغيرة وكبيرة في حياتهم.

وما نراه اليوم من استهزاء بالدين وتلاعب بأحكام اللّه تعالى, إنما هو نتيجة ضعف الإيمان وغياب تعظيم اللّه في القلوب, قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[2].

ب- التفكر في الخلق والمخلوقات وفي أمر الدنيا والآخرة :

فالتأمل في آيات اللّه الكونية ومخلوقاته, يبعث إلى تقوية الإيمان وتثبيته؛ لأن التفكر الذي حقيقته النظر

١- تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٣).
٢- الحج: ٣٢.

والاعتبار يفجر في القلب ينابيع الإيمان وتعظيم اللّه وإجلاله، وينبهه إلى كثرة نعمه وآلائه.

ومن ذلك أيضاً التفكر الواعي بأحوال الناس والنفس والدنيا وسرعة زوالها وانقضائها، وكان سفيان بن عينيه يقول: «الفكرة نور يدخل القلب» وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة [٢]

ومما يُربى في النفس عبادة التفكر، دعوة القرآن إلى النظر في آيات اللّه، ومخلوقاته التي هي آثار صنعه، والتي هي من أعظم الأدلة على وحدانيته وتفرده، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١]، ويقول اللّه تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[٢].

١- البقرة: ١٦٤.

٢- النور: ٤٤.

٣- تذكر دائما قول الحق: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[١]؛ إذ أن في تذكر اليوم الآخر يوم الحساب والجزاء ومشاهده العظيمة, تقوية للعزيمة وحث على المبادرة في فعل الخيرات وترك المنكرات, وما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواء الواجب منها والمسنون, ولا تجرأ المتجرؤون على حرماته, إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها .

وحينما أمر اللّه عباده بالاستجابة له قرنها بتذكيرهم باليوم الآخر, وأن عليهم المبادرة قبل حلول الأجل, قال تعالى : ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴾[٢].

قال السعدي رحمه اللّه : "يأمر تعالى عباده بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت

١- البقرة: ٢٨١.

٢- الشورى: ٤٧.

ربــه، ويهرب منه. بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم..وليــس للعبد في ذلك اليــوم نكير لما اقترفه وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه"[1].

إنك ســتجد في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة آثاراً واضحة وثماراً طيبة في قلبك, تظهر على أقوالك وأفعالك وعلى حياتك كلها.

قــال تعالــى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[2].

قــال ابــن القيــم رحمــه اللّه : "إن صــدق التأهــب للقــاءِ اللّه هو مفتاح جميع الأَعمــال الصالحة والأَحوال الإيمانية ومقامات السالكين إلى اللّه ومنازل السائرين إليــه، من اليقظــة والتوبــة والإِنابة والمحبــة والرجاءِ والخشــية والتفويض والتسليم وســائر أعمال القلوب والجــوارح، فمفتاح ذلك كله صدق التأَهب والاســتعداد للقــاءِ اللّه، والمفتاح بيد الفتاح العليــم لا إله غيره ولا رب سواه"[3].

١- كتاب تيسير الكريم (١/٧٦٢).

٢- البقرة: ٢٨١.

٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٧٧.

٤- داوم علـى تدبـر كتـاب اللّه, وأطـل النظـر في معانيــه ,فإن اللّه أخبر أنه إنما أنزله ليدبر العباد آياته، فقــال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]،.

وقــال تعالى مؤكداً أن القرآن يزيد المؤمنين إيماناً:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2].

قال قتادة رحمه اللّه في تفسير قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[3].

قــال: «هــو هذا القــرآن فيه الحيــاة والثقــة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة»[4].

وزيــادة الإيمان التي تكون بقراءة القرآن لا تكون إلا لمن اعتنى بفهمه وتطبيقــه والعمل به، وإلا فكم من قارئ للقــرآن والقرآن حجيجه وخصيمــه يوم القيامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: «القرآن حجة لك أو عليك»[5].

١- ص: ٢٩.

٢- الأنفال: ٢.

٣- الأنفال: ٢٤.

٤- تفسير ابن جرير الطبري (٤٦٥/١٣).

٥- صحيح مسلم رقم (٥٥٦) (١٤٠/١).

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: "واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر، بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه"[1].

٥- أعط نفسك فرصة لتسمع سماع فهم وعقل, وسماع استجابة واتباع, إذ أن الاستجابة هي السماع النافع الذي يقود إلى الطاعة والانقياد, وذلك من خلال حضور مجالس العلم والدروس, وكذلك من خلال وسائل التعليم والإعلام المتنوعة المرئي منها والمسموع والمقروء.

استمع وأنت مؤمن مستعد للتطبيق كما استمع الذين قالوا: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾[2], فالذي يستمع بنيه الفهم والاستجابة, هذا هو الحي الذي يوفق للاستجابة, كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[3].

١- تفسير المنار (٩/٤٦٣).

٢- آل عمران: ١٩٣.

٣- الأنعام: ٣٦.

قال ابن عاشور رحمه اللّه : "ومعنا يسمعون أي أنهم يفقهون ما يلقى إليهم من الإرشاد لأن الضالين كمن لا يسمع , فالمقصود سماع خاص وهو سمع الاعتبار، وأما المعرضون عنك فهم مثل الموتى فلا يستجيبون كقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[1]»[2].

وقال السعدي رحمه اللّه : "يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ﴾ لدعوتك، ويلبي رسالتك، وينقاد لأمرك ونهيك ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ بقلوبهم ما ينفعهم، وهم أولو الألباب والأسماع.

والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن، يشترك فيه البر والفاجر، فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة اللّه تعالى، باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر، في عدم القبول.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ أي : إنما يستجيب لك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون بما ينجيهم، فإنهم

١- النمل: ٨٠.

٢- التحرير والتنوير ٤/٤٩٣.

لا يستجيبون لك، ولا ينقادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم اللّه ثم إليه يرجعون [1].

نقول ذلك لأن هناك من ظلم نفسه بحرمانها من سماع العلم والموعظة بحججٍ باطلة وخطيرة, فمنهم من يقول: «إننا مسلمون ونعرف ديننا ولا نحتاج هذه الدروس والمحاضرات»، ومنهم من أعرض محتجاً بقوله: «لا أسمع حتى لا يكون حجة على إذا لم أعمل به».

إنها خدع شيطانيه خطيرة أوقعت أصحابها بجهلهم في تيه الإعراض والضلال.

٦- اختر لنفسك صحبة المستجيبين ، ولازمهم ما أمكن، فإنهم خير معين لك بعد اللّه على سلوك طريق الاستقامة, وتحريك بواعث التنافس في الخير ودفع العزائم والهمم إلى فعل الطاعات، وترك المعاصي والمنكرات، قال اللّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[2].

١- تفسير السعدي ص: ٢٥٥.

٢- الكهف: ٢٨.

وقد قال ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

٧- الزم الدعاء وأسأل اللّه دائماً التوفيق والثبات، واعلم أن الاستعانة باللّه مفتاح عظيم للتوفيق لا يجوز التفريط فيه، ولو تأملت سورة الفاتحة التي تقرأها في كل ركعة، لوجدت ذلك الربط العجيب بين العبادة والاستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، إن من همّ بالعبادة غافلا عن طلب العون، لم يكد يوفق، وفي المقابل: من مد يد الاستعانة لمولاه، ورجاه أن يفتح عليه أبواب الطاعة والتوبة، رأى من عون مولاه ما لا عهد له بمثله. أصاب عبدالواحد (الفالج) -وهوالشلل الرباعي-، فسأل اللّه أن يطلقه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء انطلق، وإذا رجع إلى سريره فلج[3].

قال بعض السلف: «افتقر إلى اللّه بصحة العزم»، أي: التوكل عليه والالتجاء إليه، وإذا وجدت العزيمة في

١- رواه الإمام أحمد في المسند٣/٣٠٤-٨٣٩٨.
٢- الفاتحة: ٥.
٣- السير ١٧٩ /٧.

نفسـك، وتبعتها مواصلة الخطوات على طريق الحق، كان بلـوغ القصد ميسـوراً بفضـل اللّه وعونه ، وردد هذا الدعاء كثير تأسياً بنبيك ﷺ « يا مقلب القلوب ثبت قلبـي علـى دينك»[1]، وتدبر فـي كل ركعة قول اللّه تعالي: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[2]. واسأل اللّه بصدق: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[3].

وسـبب أخير نختم به هذه الطـرق القويمة، ينبغي العنايـة بـه وعـدم إغفالـه: وهـو أن الأمور السـابقة جميعهـا تتطلـب مجاهـدة للنفـس, وتوطينهـا علـى الاسـتجابة, وذلك لا يأتي دفعة واحـدة كما أنه لا يقف عن حد، فكما أن النفوس اعتادت على المعصية شـيئا فشـيئا، فلنعودها على الطاعات شيئاً فشيئاً, وكما قال تعالـى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[4].

بالإضافة إلى أن ذلك أيضاَ يستلزم محاسبة النفس علـى جميع ما يقع من المخالفات مهما صغر ودق ، فإن

١- رواه الترمذي ٥/٢٣٨ و صححه الألباني.

٢- الفاتحة: ٦.

٣- رواه النسائي برقم ١٢٠٩.

٤- المائدة: ٣٥.

الإنسـان لا يدري مـن أين يؤتى في دينـه، والنبي ﷺ يحذرنـا ويقول: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّـرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَـوْمٍ نَزَلُوا فِـي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَـاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُـمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَـى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»[1].

١- رواه أحمد برقم (٢٢٨٦٠) (٥/ ٣٣١)، وصححه الألباني.

الخاتمة

أخي المستجيب..

أختي المستجيبة..

إليك هذه الوصايا لعلها تضيء لك طريق الاستقامة, وتدفع عنك عوائق الاستجابة, وتفتح لك باب العزم والطاعة:

* عوِّد نفسك على أن تأبى مجارات الناس على عوائدهم التماسا لمرضاتهم, إذا كان ذلك مخالفاً لأمر اللّه ورسوله ﷺ .

*حرِّر نفسك من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد, ولا تأخذك في إقامة دين اللّه لومه لائم, ولا تخشى فيه ذم الناس ولا مدحهم.

* ربِّ نفسك على العزة بالدين، وارفع رأسك فقد استبان لك الطريق.

*﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1].

١ - الأنعام: ١٦٢.

* اسأل نفسك دائماً هل تريد الدنيا؟ فإنها متاع قليل ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[1].

أم تريد الله ورسوله والدار الآخرة؟ فإنما هي الحسنى وزيادة ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[2]، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[3].

ثم اعلم أن ذلك التخيير ليس لك أنت فقط، بل إن الله قد خير من هم خير منا جميعاً، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٥﴾[4].

* تذكر فضائل وثمرات الاستجابة في الدنيا والآخرة: قلب ساكن مطمئن ..إيمان وهداية وتوفيق ..دعاء مستجاب.. مغفرة للذنوب..صلاح أزواج وأبناء ..سعة رزق.. نجاة من النار ...جنة عرضها السموات والأرض.. ورضوان من الله أكبر.

١- آل عمران: ١٨٥.

٢- الرعد: ١٨.

٣- الروم: ٦-٧.

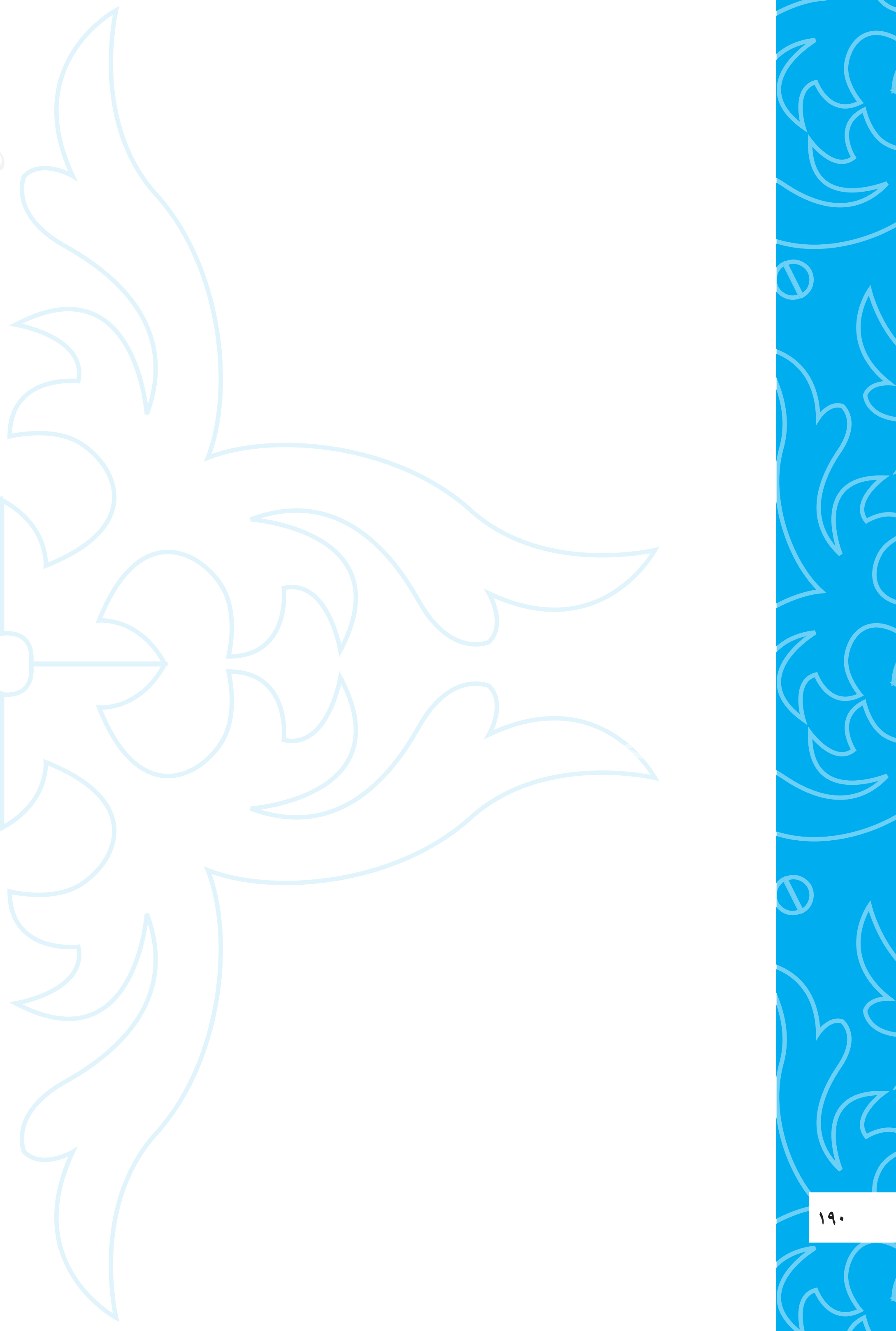
٤- الأحزاب: ٢٨.

* تذكَّر سوء حال ومآل المعرضين والعاصين: فهو شقاء وضياع في الدنيا.. وحسرة وعذاب وهوان في الآخرة.

* ثم اسأل اللّه تعالى أن يوفقك لسلوك طريق الاستقامة ، وأن بلوغ مرضاته، وأن يجعلك مستجيباً للّه ولرسوله ﷺ في السر والعلانية.

وفي الختام نسأل اللّه تعالى أن يجعلنا جميعاً من السابقين بالخيرات والمسارعين إلى مغفرة وجنة عرضها الارض السموات ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

فهرس الموضوعات



لك
استجبنا

امتداداً للدعوة المباركة إلى تدبر القرآن الكريم
والعمل به، تنطلق حملة (لك استجبنا)
والتي تهدف إلى الدعوة للاستجابة لله ورسوله
لتحقيق التقوى والترقي في مراتبها، وسيتم طرح
الحملة بعدة وسائل دعوية ميدانية وإعلامية.
ولمزيد من المعلومات عن المسابقة
زوروا صفحة الحمله
على موقع آسية الإلكتروني
http://estajapna-lk.tk
www.asyeh.com

أسئلة مسابقة كتاب «لك استجبنا»

السؤال (١) : أجب عن التالي فيما لا يزيد عن سطرين من نص الكتاب:

١) ما هو المحور الذي ورد فيه النص التالي: (الاستجابة لله ورسوله هي استجابة لدواعي الحياة بكل معاني الحياة الكاملة).

٢) ذكرت المؤلفة بأن بعض الشعوب (رفعت رايات الرفض والغضب تجاه ظلم الأنظمة والقيادات) فكيف ربطت بين ذلك وبين موضوع الاستجابة ؟

٣) لماذا لا يستجيب بعض الناس لربهم الذي خلقهم وشرع لهم الدين؟

٤) ما صفة قراءة القرآن التي يوفق العبد من خلالها للاستجابة؟

السؤال (٢) أكمل الفراغات التالية :

١) كلما زاد العبد في الاستجابة لله تعالى وطاعة أوامره،............... بالميت، قال تعالى: (................ ....).

٢) أوجز مجاهد رحمه الله مفهوم الاستجابة في كلمة واحدة، هي:...............................

٣) أورد ابن عاشور أمثلة عدة لـ (إجابة المبادرة)، مثل استجابة: (..............................)

٤) المحـرك الحقيقـي والمظهـر العملـي للإيمـان هـو ....

٥) الاسـتجابة التـي يدعـو إليهـا الكتاب و يأملهـا من كل مسلم هي ....

٦) الاستجابة لله يجب أن تكون في..........................،
وفي جميـع .... بقدر الاسـتطاعة؛
لعموم قوله تعالـى: (..................................
...............................) وقـد جعل الله تعالى رضاه
في ....لأمره.

٧) أكمل النـاس حياة أكملهم ....
....

٨) من أجاب داعي الله ....
....الأليم.

٩) ومما ابتلـي بـه كثير مـن الناس فـي هـذه الأزمنة من الشـهوات، ....إلـى .... مـن غيـر ....، وإنما بمبرر ....، مع أن الواجب على المسـلم أن يفر .... من .... لا أن يفر إلى ....

١٠) ومما يؤلم النفس أن نرى في هذا الزمان .... مـن الصغير والكبيـر والمرأة والرجـل، لا يتورعون عن ....، ونسـي ذلك المفتي والمستفتي أن الله سيسألهم يوم القيامة بقوله: (...............).

١١) (..................) اسم لداء يطلق ويراد به (الشلل الرباعي)

السؤال (٣) : ما مناسبة الاستشهاد بالنصوص التالية:

١) حديث : (الكبر بطر الحق وغمط الناس)

مناسبة الاستشهاد: ....

....

....

٢) حديث : (إِنَّ اَلسَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ اَلْفِتَنَ)

مناسبة الاستشهاد: ....

....

٣) قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)

مناسبة الاستشهاد: ....

....

....

٤) قوله تعالى : (إنما يستجيب اللذين يسمعون)

مناسبة الاستشهاد: ....

....

السؤال (٤) : المطلوب اختيار الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

١) العباد يتفاوتون في استجابتهم لله على : (طبقتين، ٣طبقات، ٥طبقات)

٢) آيات الكفاية هي : (آخر البقرة - سورة الملك - آية الكرسي)

٣) السوقة هي : (الفرس - عامة الناس - متجر المدينة)

٤) التردد في الاستجابة والتأخر عنها فضلاً عن تركها ومخالفتها من دلائل (النفاق - الضعف - التسويف)

٥) من بلغه الحق عن الله ورسوله ﷺ ثم أعرض عنه تبعاً لهواه وشهوته ورغبته أو إرضاء لأحد من الناس فإنه يصاب بـ: (الوقوع في الفتنة - تقليب القلب والتثبيط عن العمل الصالح - الابتلاء بالضيق والمعيشة الضنك - الحرمان من إجابة الدعاء -حرمان المعرضين من ولاية الله وتخليه عنهم - الابتلاء بالمصائب و العقوبات العامة - جميع ما ذكر)

أخي المستجيب لربه، أختي المستجيبة لربها: بعد قراءة الكتاب لعلك أصدرت قرارا مهما في حياتك ، أكتب لنا في خمسة أسطر الخطوات العملية التي ستسير عليها مستعينا بربك لكي تحقق الاستجابة لربك..أعانك الله ورزقك التوفيق والسداد.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

نستقبل الاجابات قبل ٣٠ / ١١ /١٤٣٢هـ

على الفاكس : ٩٦٦١٢٦٩٥٦٩٣+

أو البريدالإلكتروني : asyeh.e@asyeh.com

أو ص.ب: ٣٥٥٩٥٤ الرمز : ١١٣٨٣